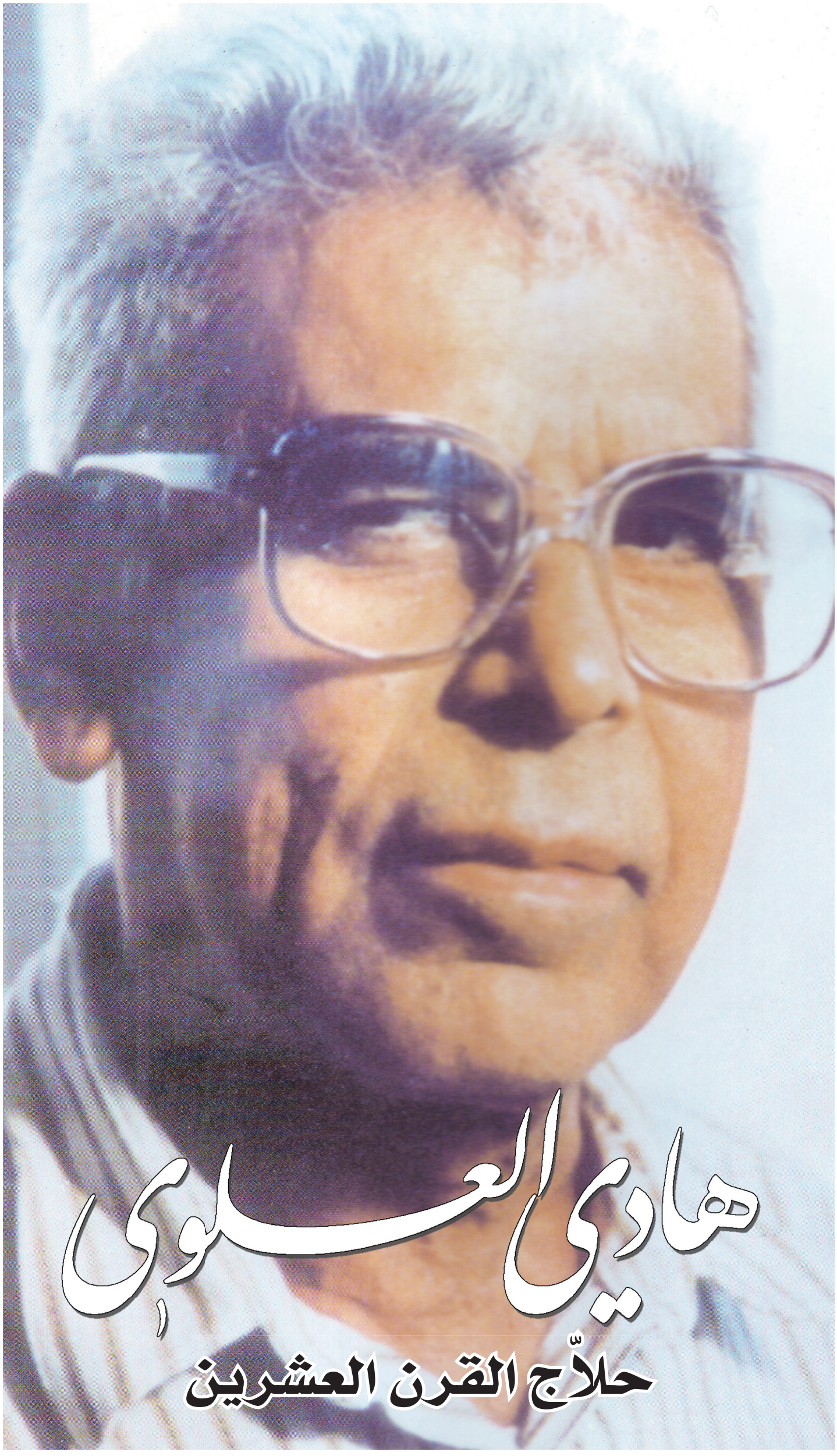

هادي العلوي

حلاّج القرن العشرين

صراحة

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1617) السنة السابعة

الخميس (1) تشرين الاول 2009

آخر متصوفة بغداد

2

هادي العلوي . . المتصوف الزاهد المشكك الناقد!

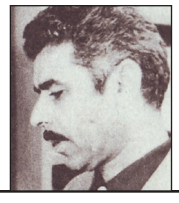

10

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

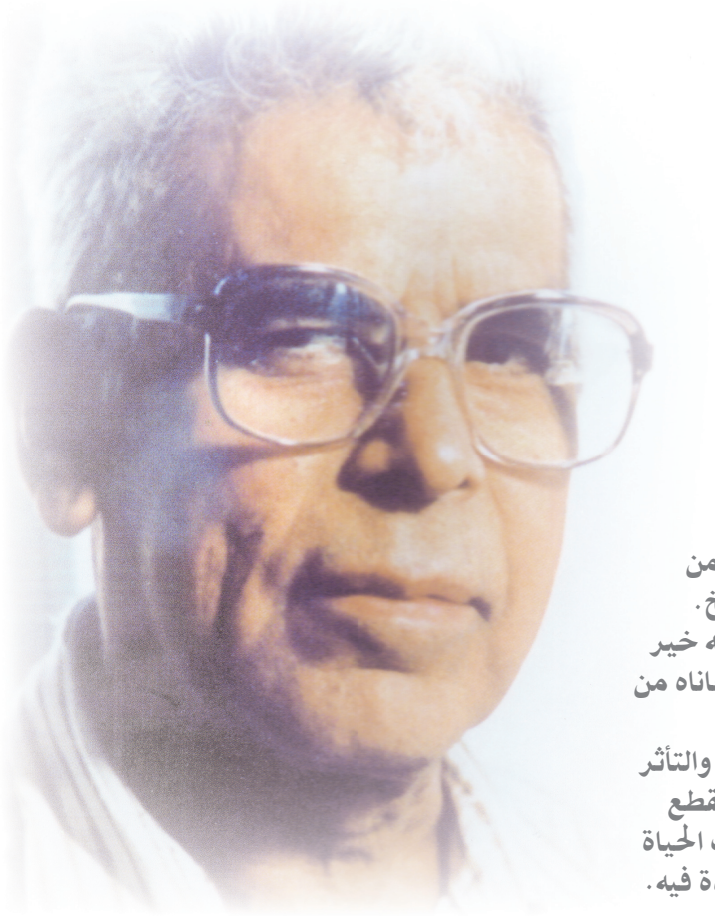

آخر متصوفة بغداد

رضا السماك

رحل العلوي عن دنيانا بعد ان صارعه الموت عدة مرات، مخلفا تركة عظيمة من الدراسات والابحاث في قضايا التراث العربي واللغة والفكر السياسي والتاريخ.
ولعل في رحيله المفاجئ والصامت ومن دون النعي الاعلامي العربي الذي يستحقه خير دلالة رمزية مكثفة مأساة الحياة التي عاشها في ربع القرن الاخير من حياته وما عاناه من محن في المنفى فضلا عن مأساة واقعنا العربي الرديء.
كان هادي العلوي يجسد نموذج المثقف الكوني، بمعنى الكلمة، مرهف الحساسية والتأثر بهموم وطنه وامته، اعتزل الناس وهو في المنفى، في صومعة الفكر، لكنه ما انقطع عنهم وعن همومهم.. تسامى وارتقى بأحاسيسه وهواجسه الانسانية فوق مطالب الحياة اليومية زاهدا فيها، مغالبا وهن الجسد وآلامه، كابحا وقامعا نزعات الشهوة واللذة فيه.

وكان هادي معتدا الى ابعد الحدود، بسلطة الفكرة والثقافة، فوق اي سلطة، في اي شكل من اشكال التجمع البشري ومؤسساته.

كان صديقا ودودا للكائنات الحية المسالمة الضعيفة والمستضعفة، يمقت بشدة العدوان على اي منها، وكان العلوي قد عاش حياة مثيرة للجدل في مواقفه وافكاره وكتاباته فجمع غضب اعدائه واصدقائه معا، لكنه كسب محبة هؤلاء الاخيرين وعصي عليهم كرهه، لما يتصف به من شجاعة وجرأة في الدفاع عن افكاره ومواقفه دون مداهنة او تنازل، ولما تنسجم به حياته العامة مع حياته الخاصة في عدم التناقض بين القول والفعل، او بين الفكر والسلوك.. واتقاد عاطفته لم يسلم احد من سهام نقده انظمة واحزابا، بما فيها الاقرب الى قلبه، وتنظيمات شعبية ومثقفين وشخصيات عامة ومختلفة..

مفكر مثير للجدل..

كان هادي العلوي بعبارة واحدة شخصية مثيرة للجدل ونسيج وحده.

كان مفكرا سياسيا وتراثيا، بطريقته الخاصة، عاش وعاصر حياة حافلة بالتحولات السياسية- الفكرية والاقتصادية والاجتماعية، لم يغب خلالها عن النقد والتنظير والحوار. ولم يشف غليله منهج علمي واحد تشرنق فيه، بل حاول في اغلب الاحيان ان يصوغ او يبني له منهجا خاصا من خلاصة عدة مناهج وفلسفات قديمة وحديثة: المادية التاريخية، الليبرالية الماوية، الصوفية، التاوية، المشاعية، فلسفة الحق في كل الاديان، كانت الحكمة هي ضالته في جوهر الاديان والفلسفات الانسانية مادامت تسعى الى الخير والجمال والعدالة وتنصر المظلومين والفقراء، وترسم الطريق لهم لنيل حقوقهم من مستغليهم وظالميهم.

ولانه مفكر مثير للجدل وله نهجه الخاص فقد قاده ولعه وافتتانه بالفلسفة القديمة الى الاقامة في رحاب ومناخ هذه الفلسفة طوال شطر كبير من منفاه، فقد كان متنقلا بين دمشق وبكين.. في الاولى انجز العديد من ابحاثه واعماله الفكرية والتراثية وكان يحلو له احيانا ان يختلي في معرة النعمان، محل صومعة وعزلة فيلسوفه وشاعره الاثير (ابو العلاء المعري) حتى ذيل مقدمات بعض كتبه بهذا المكان.

وفي بكين انجز بعض اعماله المتصلة بالفلسفة الصينية القديمة ومنها كتاب التاو وآثر ان يذيل مقدمته بالتاريخ السرياني – الميلادي معادلا التقويم الزراعي الصيني من سنة الديك.

موقفه من النحو العربي..

وفي صعيه المحموم الدؤوب لتطوير «نحو اللغة» وقواعدها كان ثائرا متمردا على الجمود والتزمت وعبادة قوانينها الازلية وكان ضد المحافظين على تقديس هذه القوانين وعدم اخضاعها لنواميس التطور المنسجمة مع العصر ومع حضارة امة عريقة.

وقادته هذه الجرأة في التمرد للانفراد وحده بمنهج لغوي خاص به يكتب به ابحاثه ومقالاته ورسائله، وهو منهج يجمع بين اللغة المحكية واللغة المنطوقة او «العامية» وينبذ او يبتعد عن المتعارف عليه من قواعد الاعراب والصرف الجافة او الغامضة التي لاتستسيغها ألسن عامة المثقفين، ولا عامة الناس، مؤثرا السهل الممتنع حتى لو خرق هذا السهل الممتنع قوانين اللغة وشروطها... فان قيّض لك ان قرأت احد نصوصه وعثرت على خطأ لغوي شائع من اخطاء النص استعصى عليك معرفة ان جاء ذلك ضمن سياق منهجه اللغوي الذي اختص به ام ضمن سياق الاخطا اللغوية الشائعة التي يقع فيها الكتاب والباحثون وعامة المثقفين كبارهم وصغارهم على السواء.

وقد حرص بنفسه في اغلب الاحيان على التنويه بمنهجه في هوامش ابحاث ام مقدمات كتبه وشرح ذلك مفصلا في كتابه «المعجم العربي الجديد.. المقدمة» واصفا اللغويين الذي يحرسون اللغة بقوة الامر والنهي انما يحرسون ضريحا، لا كائنا حيا، ناعتا إياهم بـ«الاكليروس اللغوي».

فلسفته في التصوف

عاش العلوي حياة مفعمة بالعطاء الفكري والثقافي، وذاق مرارة القلق والتشرد وعدم الاستقرار، وامتزجت هذه الظروف وتمازجت فيه الرغبة في الزهد وتبني التصوف فلسفة وحياة وعندما سئل عن اسباب ظاهرة اقبال الكثير من المثقفين على الصوفية، انكر هذا الاقبال: لم تلاق الصوفي هذا الهوى والاقبال.. فالمثقف العربي المعاصر منخلع من تراثه الصوفي، وما حصل حتى الان هو الاقبال على الادب الصوفي بريادة ادونيس..

واجاب هادي عما اذا كان يعتبر نفسه صوفيا وكيف ترتبط الفلسفة الصوفية كفكر نظري بالممارسة قائلا: تابعت المعري في عدم اكل اللحم والنباتية الصرفة وخالفته في اكل منتجات الحيوان كالحليب والعسل، اذ ليس فيه عدوان على الحيوانات الاشكال في ذبح الحيوان، اي قتله لاكله.

وخالفت المعري ايضا في عدم الدعوة الى النباتية، فهي خيار شخصي للمثقف الصوفي ولايجوز تحويلها الى دعوة لئلا تلتبس اهداف النضال وتختلط اولوياتها، ووافقت المعري في عدم الانجاب فلم اجن على احد ولو اني تزوجت (وفسر الصوفية قائلا)... تعني عدم الامتلاك اولا والاكتفاء بما يقيم ضرورات العيش من الطعام والملبس والمسكن- البسيطة كلها، ويدخل ذلك في مقاطعة سلطتي الدولة والمال، والمتصوفة يختلفون في درجة الموقف من سلطة الدولة، مقاطعتها سلبا او المضي اكثر في معارضتها ومحاربتها، وقد سلكت الطريق الثاني،.. هكذا عاش العلوي او قضى الهزيع الاخير من حياته وهو في المنفى.

دراساته ومؤلفاته

ولد هادي العلوي في بغداد عام ١٩٣٢، وتخرج في كلية الاقتصاد بجامعة بغداد عام ١٩٥٦. درس التاريخ والفقه وعلم الكلام في مكتبة جده السيد سلمان.. واضطر للهجرة الى خارج وطنه عام ١٩٧٦.

تبلغ مؤلفات العلوي نحو الستة عشر مؤلفا او اكثر:

١-نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي وهي باكورة اعماله التراثية المتميزة.

٢-في السياسية الاسلامية.

٣-الاغتيال السياسي في الاسلام.

٤-التعذيب في الاسلام (والمقصود بالاسلام في الكتابين المذكورين ليس الدين بل المجتمعات الاسلامية القديمة) وقد جمع الكتب الثلاثة بكتاب واحد باسم «فصول من تاريخ الاسلام السياسي».

٥-المعجم العربي الجديد (المقدمة) عن دار الحوار السورية.

٦-من قاموس التراث/ عن دار الاهالي الدمشقية، وفيه سعى لتعريف المفاهيم والمصطلحات والتعابير الشائعة في العصور الاسلامية القديمة بطريقة تجمع بين منهج كتب التعريفات ومنهج الموسوعات في سياق يأخذ بمدلولها التاريخي وشروط وعيها الاجتماعي الملموس، وسبق ان نشرت مجموعة هذه المفاهيم والمصطلحات على حلقات في مجلة «الحرية».

٧-المستطرف الجديد/ دار الطليعة البيروتية، ويتضمن مجموعة نصوص واقوال وحكم السلف منقاة بمعيار نقدي معاصر.

٨-المنتخب من اللزوميات/ عن مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية، وهو خلاصة تتجسد فيها الامثولة الاستثنائية استمدها المؤلف من اللزوميات واستخلصها بمنهج اصطفاء معاصر جرى فيه على نهج الشاعر ادونيس في مؤلفه الموسوعي «ديوان الشعر العربي» واللزوميات او لزوم ما يلزم هو اسم الشاعر المعروف بزهده وتصوفه ابو العلاء المعري التنوخي وقد بناه على قافيتين ولذلك سمي بـ«لزوم مايلزم)..

٩-فصول عن المرأة/ عن دار الكنوز الادبية ببيروت، ويتناول فيه الواقع الاجتماعي لحياة المرأة العربية في العصرين الجاهلي والاسلامي روعي فيه المقارنة في اوضاع المرأة وما طرأ عليها من تطورات مابين العصرين الجاهلي والاسلامي، وتتضمن مقارنات في النظرة الى المرأة في الحضارات بما فيها حضارتا الغرب القديمة والحديثة، كما يشتمل الكتاب على فصل خاص للمرأة في الصين، وجزء خاص بقاموس المرأة يتناول العائلة وتسميات المرأة والقابها وحقوقها واوضاعها الاجتماعية، وقد جاء الاهداء ليعكس شخصية العلوي التي تقدم الزهد، وتسمو به الى اعلى مراتب التسامي ونكران الذات: الى هدية بنت الحاج عباس البغدادية.. في كل حركة انتصار للفقيرات يكون صوتك هو الاصل..

١٠-المستطرف الصيني.

١١-كتاب التاو/ عن دار الكنوز الادبية، وهو ترجمة لنصوص مؤسس الفلسفة التاوية الصينية «لاوتسه» بالاشتراك مع معلمها الثاني «تشوانج تسه» والكتاب عبارة عن ترجمة للمصدرين الاساسيين لهذه المدرسة الكبرى التي تتكامل مع التصوف القطباني الاسلامي في تعاليها على سلطتي الدولة والمال، داعية لخروج الانسان من اسر العبودية الى فضاء الحرية الارحب، حيث تكون مرحلة المثقف الكوني تتويجا لصراع الفلاسفة وتمردهم ضد عناصر الانحطاط التي زرعها ذوو السلطات المطلقة- على اختلاف مكاناتهم- في اعماق الوجدان البشري.

١٢-شخصيات غير قلقة في الاسلام/ عن دار الكنوز الادبية، وهو مسح تحليلي سريع لطائفة من الشخصيات البارزة المؤثرة في التاريخ العربي- الاسلامي يتنوع فعلها ونتاجاتها بين الحياة السياسية والاجتماعية وبين الحياة العلمية والعملية، ولكل منها موقع في مساحة تاريخنا العربي-

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

الهادي العلوي غائبا حاضرا

شوقي بغدادي

كل الذين قرؤوا عن اقتران القول بالفعل من دون ان يروه مجسدا امام عيونهم في اهاب انسان حي كان يجب ان يعرفوا (هادي العلوي) كي يقتنعوا بالمعاينة والمعاشرة ان اقتران القول بالعمل ليس مجرد احتمال نظري مستحيل او شبه مستحيل ان يتحقق في الكائن البشري على ارض الواقع الحي، وانما هي حقيقة اصيلة ممكنة جدا، بقدر ماهي بسيطة وسهلة حين تتوفر في الكائن الصفات التي كان يتمتع بها «هادي العلوي»..

ولكن من هو «الهادي العلوي» اولا لمن لايعرفه؟.

جسد ضئيل ناحل، وعينان متعبتان، وصوت واهن ولكنه مؤثر، ونفس قريب الى القلوب في الخلوات الحميمة حتى لتحسب انه رجل ساذج، ولكن سرعان ما تدهشك منه عبارة تنم عن عالم داخلي غاية في الخصوصية والعمق والثراء، وعن خلفية ثقافية عريضة عرض السماء التي تظلنا والارض التي نسعى فوقها..

الهادي العلوي مثقف عراقي كبير نزح من العراق الكابوس كما نزح كثيرون طلبا للنجاة في منفى آمن..

كان قد اسس لاسمه مكانة مرموقة في عالم الفكر والتأليف والبحث والنضال السياسي قبل ان يهاجر من بلده، ولكنه سرعان ما اضاف اليه من جهده الخارق في طلب المعرفة وتنظيمها واستخلاص المجدية منها ثم ايصالها الى الجماهير الواسعة بأيسر الطرائق والاساليب فكتب في التاريخ والفكر السياسي، والفلسفي وفي التأليف المعجمي ما يعجز عنه فريق عمل كامل، في سنوات معدودات، وكان في كل ما ابدعه مرجعا موثوقا يعتد به دونما تردد..

لجأ الهادي الى سوريا ولبنان ثم طوحت به الدنيا بعيدا جدا الى اقصى الشرق في الصين حيث قضى مايقارب الخمسة عشر عاما يعمل في حقل الفكر فدرس الفلسفة الصينية واوغل في دراستها ، وكان عمليا اول مفكر عربي ينقل الى القراء العرب ما يجهلونه عنها في كتابه الكبير عن (التاوية) اهم مافي التراث الفلسفي- الديني في تاريخ الصين.

وربما كان الاهم والاجمل من كل هذه الجهود الخارقة في التأليف والبحث هو سلوك (الهادي العلوي) في حياته اليومية مع الناس والاشياء والاحداث اذكر مثلا اننا تبادلنا الرأي معا ذات يوم في القيام بعمل فعال جديد ينهض به المثقفون العرب الطليعيون لمناهضة الغزو الثقافي الغربي والامريكي خاصة غير الكتابة والتأليف وهو الدعوة الى تشكيل جبهة من هؤلاء المثقفين تحت شعار اقتران القول بالفعل كأن تدعو هذه الجبهة الى مقاطعة البضائع ذات المنشأ الامريكي والاوربي الا في حدود الحاجة الملحة مع استثناء بعض الدول الصديقة وبالتالي الاكتفاء بما يقدمه الانتاج المحلي، وان يبدأ ذلك في مجال الاقمشة والملابس والاحذية والادوات المنزلية وغيرها مما توفره المعامل الوطنية من انتاج وكما هي العادة ظلت هذه الافكار مشروعا هائما في الوجدان او على الورق فلم تنشأ الجبهة المذكورة، وحين استجاب بعضهم لفكرتها مبدئيا لم يعمد احد الى تطبيق شعارها على نفسه بالفعل سوى الهادي العلوي اذ راح يجوب الاسواق بحثا عن انتاج وطني يرتديه او يجتذبه، وهكذا بدأ هذا المثقف طريقا غريبا مثاليا وواقعيا في آن واحد وسط بيئة تفتقد خصوصيتها العريقة يوما بعد آخر وكأنه (دون كيشوت) عربي مايزال على قيد الحياة.

لقد هد المرض اخيرا هذا الجسد الناحل فاخمد طاقة العينين على القراءة اولا وهي المصيبة الادهى والاكبر بالنسبة للهادي العلوي، فاذا بقلبه يتعثر ويترنح واذا بدماغه يعترض على كل هذا بما يشبه الصدمة التي تهدد بنوع من الشلل، ولم تطل المعاناة كثيرا، اذ اسلم (الهادي العلوي) الروح بعد اشهر معدودات ودفن في مقبرة حي (الست زينب) حيث يمضي معظم العراقيين المنفيين خارج وطنهم كي يستقروا في مثواهم الاخير.

الان فقط احزن اعمق فأعمق بل انقم على نفسي انني لم الازم الهادي العلوي في مراحل حياته الاخيرة فاكسب في صحبته مالا اجده حولي الان...

وهكذا نشعر بالفراغ الكبير الذي يتركه رفاقنا الكبار دائما بعد فوات الاوان..

رحمة الله عليك ايها «الهادي». الغائب الحاضر.. والى لقاء قريب.

جريدة الخليج ١٩٩٨

لجأ الهادي الى سوريا ولبنان ثم طوحت به الدنيا بعيدا جدا الى اقصى الشرق في الصين حيث قضى مايقارب الخمسة عشر عاما يعمل في حقل الفكر فدرس الفلسفة الصينية واوغل في دراستها ، وكان عمليا اول مفكر عربي ينقل الى القراء العرب ما يجهلونه عنها في كتابه الكبيرعن (التاوية) اهم مافي التراث الفلسفي- الديني في تاريخ الصين.

الحق لايترك صاحبا

عباس بيضون

رحل هادي العلوي غريبا كما عاش غريبا وسيحشر بين الغرباء، غريب ولاوطن له سوى الحقيقة، الحقيقة التي عرفها متبدلة متنقلة، لكنها وحدها تستحق ان تكون وطنا.

هادي العلوي منذ غادر بلده لم تستقر له قدم، المنفى الابدي، نفي من البلد والمنفى، من الاغراب والاهل ولاصحاب، من الرفاق والخصوم من نفسه ذاتها، منفي الى حيث لا الف ولا شريك، وحيد وعليه ان يصارع الغيلان وفعل ذلك دون خوف، غريب وعليه ان يعاشر الشكوك، وعلى طريق المتاهة افترق العلوي عن الجميع، ووجد لنفسه حكمة غير مفهومة، وجمع في داره الماء والنار، الثورة والتأمل، الفضيحة والسلام، جمع في نفسه الساكن والمتحرك، ولم يتعب، ففي رأسه تعاشرت الافكار العدوة دون ضغينة، وفي وجدانه اختلطت الجذور المتباعدة وفي قلبه اهتدى الى حيث لم يلحقه احد..

هادي العلوي كان من هؤلاء الذين يجدون الثقافة خط حياة وعمل حياة، وقد فعل في حياته مافعله في كتابته فالحق لايترك صاحبا، ولايترك ارثا ولا مالا، والفكر تكريس ونسك وفقر وعراء وقد عاشر هادي العلوي ملسوعا بالحق، غير مبال الا بجمرته ولهبه.

كان الفكر بالنسبة له شأنا جديا لايرتهن بالعابر ولا السياسات الصغيرة، قال لا احسن السياسة لانه يذهب الى ابعد، وقد ذهب بدون خوف ولكن ايضا بدون ضجيج الى حيث لاتجرؤ الاغلبية، دون ضجيج ودون خوف لا اكثر انه كان مبصرا ورأى، ببساطة ودون غشاوة ابصر وروى ما رأى، لم يدع الا انه رأى لكنه ببساطة اقتلع صخورا، ودون ان يدري تخطى محرمات ودون ان يدعي قال الكلمة التي تسقط اصناما، وسمى دون ان يهاب، ودون ان يحارب او يرفع سلاحا.هادي العلوي الذي لم يخف ان يكون داعية لكنه ابى ان يكون بوقا.

هادي العلوي الذي لم يجد حرجا في ان يتصرف كمحرض بسيط لكنه لم يتصرف في يوم كمثقفي الجهاز.

الثوري الماركسي الصوفي التاوي التراثي وفاضح التراث، الحكيم المناضل المتأمل، صفات عز ان تلتقي لكن التجربة التي تتدفق من منابع شتى تجمعها وتجمع النفس والعالم في بوتقة واحدة.

لم يأكل لحما هادي العلوي خشية ان يؤذي، لم يؤذ احدا ولا نبتة هادي العلوي، كان التراب تحت قدميه روحا والهواء شغفا، حدثه النخيل وحدثه الماء عن جمرة الحق التي لاتحرق، وبكل هذا الرفق اقتلع اكاذيب وصخورا واوهاما، وبكل هذا النسك فتح بوابات وقصورا، العراقي الذي سقط، ليس بعيدا جدا عن بغداد، يحمل في وجدانه المدائن التي غرقت في الصحارى والحكمة التي هبت من كل مكان الشعوب والاعراق والاديان والمعابد التي عاشت هناك، والانهار الانهار العظيمة التي رغم كل شيء تظل تجري..

السفير ١٩٩٨/١٠/٢٩

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

حمل لي لقائي الاول مع هادي العلوي كثيرا من الدهشة المصحوبة بالمفاجأة. لم أتوقع ابدا ان المفكر والباحث الكبير الذي طالما سمعت وقرأت عنه، على المستوى من البساطة والالفة والتواضع. لقاؤه كان احدى الامنيات التي رافقتني لسنوات عديدة، منذ قرأت له اول مرة عندما كنت طالبة في الثانوي، وقادت المصادفة الى احد كتبه ليكون اهم الاسباب التي دفعتني لقراءة الكتب الفكرية والتراثية خاصة تلك الحاملة لاسمه، لانها من الكتب التي اصطدمت طروحاتها الجديدة ومنظومتي المدرسية آنذاك. كان شغفي بما يكتبه يزداد يوما بعد آخر وصار حلم اللقاء يرسم لي ملامح ذلك الباحث وكأنه مارد فكري، الحوار معه يتطلب بروتوكولات ثقافية رفيعة المستوى. وقد تكرست تلك الصورة في مخيلتي بعد ان امتهنت الصحافة وتعاملت مع المثقفين والمفكرين، الذين يغلقون ابوابهم في وجوه الصحفيين الشباب اذا لم يأتوا عن طريق معارف او اصدقاء يمهدون طريق اللقاء الاول. اللقاء الذي غالبا ما يكون مجالا لاستعراضات مختلفة حسب شخصية الصحفي وجنسه، او حسب الوسيط الذي رتب اللقاء.

الايام الاخيرة لهادي العلوي

سعاد جروس

مع هادي العلوي كان الامر مختلفا. خابرته في المرة الاولى لاحصل على موعد، لم يتردد في ذلك ولم يسأل عن معلومات تفيده في معرفة اهداف اللقاء، اخبرته انني فقط سأتعرف عليه ومن ثم نحدد محاور لحوار صحفي. اما السؤال الذي وجهه الي وادهشني وخلته مزحة هو، كيف سآتي الى مشروع دمر حيث يسكن، هل من عامة الشعب؟؟ ام في سيارة خاصة؟؟. توقفت كثيرا عند كلمة عامة الشعب وشعرت بعمق المسافة التي تفصلني عن ذلك المفكر مما زاد من حرجي للقائه. ترى كيف سأتكلم مع ذلك المارد الفكري؟؟

كانت المفاجأة عندما طالعني الشيخ ابو حسن (هادي العلوي)، سليل الحضارتين بقامته المتوسطة الطول والجسد الناحل والشعر الابيض والبشرة السمراء وملامح وجه قديم وحزن عريق يتوارى تحت غلالة من المرح الطفولي الطريف. بدا سعيدا بالزيارة ورحب مرات عدة بي وكان يعقب على كل فكرة أقولها معطيا انتباهه لكل كلمة وكأن كل ما اقوله مهما.

ادهشتني تلك الرحابة والبساطة، قلت له في سري: يا أستاذ هادي جئت للحوار وما عندي غير الاعجاب. بما تكتب، ليس ثمة ما اريد الاستفهام حوله او مناقشته معك، كل ما تقوله اتفق معك عليه. بدأت اجول بنظري في منزله بحثا عن ملاحظات تكون معبرا للحوار، وعندها سألت نفسي لم لا يكن الحوار حول مظاهر الحياة اليومية المعاصرة في الشارع والبيت والعمل. كيف يعيشها، كيف ينظر الى ابناء جيلي؟؟ طرحت عليه الفكرة فوافق قائلا: اكتبي الاسئلة وحددي ما تريدين طرحه وانا مستعد للتحاور. الا ان بداية الحوار لم تنطلق من تلك الفكرة كون الجلسة الاولى تمت قبل قراءتي لكتابه مدارات صوفية الذي كان حديث الصدور. البداية انطلقت من اختلافي معه حول مثالية الافكار المطروحة في المدارات، ورغم اعتيادي على الصدمات التي تسببها كتابات العلوي وافكاره بدا الامر اكثر تطرفا في هذا الكتاب، وتحديدا الافكار الخاصة بالشعب والفقراء والمرأة، وتصوراته عن مجتمعه المشاعي. كان لمواجهته كل انواع القهر والاستبداد الاجتماعي والسياسي اثر في انحيازه للمستضعفين واعفائهم من المسؤولية تجاه ما يعانون لدرجة التنزيه، لان معاناتهم ناتج الانظمة السياسية الفاسدة. مثلا الشحاذ كما يقول: (ليس متطفلا بل فقير عاجز عن العمل او عاطل لم يحصل على عمل وهو لم يلجأ الى الشحاذة تطوعا وهواية، حيث لا يمكن للانسان ان يفقد كرامته بسهولة لولا انه يخير بينها وبين الموت جوعا. فالشحاذ ليس متطفلا وانما المتطفل هو الحاكم والتاجر والمثقف، هؤلاء يأكلون حقوق الناس ويدفعونهم الى الشحاذة.). وكان النقاش يحتد بيننا فأقول له لن نتفق ابدا. يجيب: هذا مؤكد لاننا من جيلين مختلفين وثقافة مختلفة، وبعض آرائك من نتاج التأثر بالثقافة البرجوازية.

ورغم تلك المثالية المتطرفة احيانا واختلافي معه وجدت نفسي مرغمة على تبجيله ومناداته (شيخنا) وهي كلمة لم ترد في قاموسي يوما قبل التعرف اليه. وذلك مبرر لدى معاشرتي ومعايشتي هادي العلوي. لأنه من الاشخاص النادرين (اذا لم يكن الوحيد) الذين يتملكون افكارهم حتى تتملكهم، فيعشونها بكل صدق واصرار، لاثبات ان ما يدعون اليه ليس مثالية. وحدانية الفكر والسلوك خاصة نادرة جدا في مجتمعنا وعلى كافة المستويات، فالازدواجية واحيانا تعدد الشخصية الواحدة نوع من الذكاء الاجتماعي او الدبلوماسية، يفرضه النمط الحديث للحياة، الدافع اليه استمرارية الفرد بممارسة دوره في المجتمع دون عزل او اقصاء. الامر عند هادي كان مختلفا، الحق حق واحقاقه لا يكون الا بالحق. لا دبلوماسية ولا مجاملة لانها كذب ورياء. وهذا ما جر عليه أزمات صحية كثيرة، نتيجة لرفضه التعامل مع تلك السلوكيات ومحاربتها، وعادة تكون روح الحق اكبر من طاقة الجسد. تألم لألم الفقراء وبكى معهم وكم من مرة أخذ الى غرف الانعاش بعد الاجتماع بفقراء ومشردين كانوا يأتون اليه طلبا للمساعدة، كونه انشأ لهم جمعية سماها جمعية بغداد المشاعية، تعمل على جمع التبرعات للمحتاجين والمشردين العراقيين، أرامل ويتامى وجياع. هؤلاء كانوا أهله ومحور تفكيره، لهم نذر نفسه عندما عاهد والدته التي ماتت من الفقر بأن يناضل من أجلهم حتى يموت. وهادي لم يخل بالعهد وما هجر الفقر الذي لازمه واخوه واخته وامه في بداية حياته.

ومع ان احواله تغيرت في ما بعد، وتحسن وضعه المالي، الا ان قناعته بالحياة بقيت بسيطة سواء في المأكل او الملبس او المسكن. امضى اربعين عاما من عمره نباتيا محرما على نفسه اكل كل ما هو روح مقتنعا بالزاد البسيط. وجبة العشاء مثلا، كأس من الحليب وبضع حبات من التمر وشيء من الخبز. ثم يؤكد لزوجته ام حسن ان هذا القدر من الطعام يكفي.

البرجوازيون لا يأكلون كل هذا.. يجب ان نفكر بالجياع الذين لا يجدون ما يأكلونه، وسؤاله دوما لنفسه: كيف آكل انا اكثر من حاجتي؟؟

كان ذلك ضمن حالة تقشف فرضها على نفسه، منذ الطفولة حين كان يرفض ارتداء الملابس الجديدة التي تخيطها والدته مفضلا ان يرتديها اخوه واخته، واستمر في ذلك طوال حياته. كان يفضل الذهاب الى الجامعة ماشيا على الاقدام ليوفر ثمن فاكهة لوالدته، ولم يقبل يوما ان يعلق في خزانة ملابسه اكثر من قميصين وبنطالين. واذا ما أهداه احد الاصدقاء قميصا يعطيه لمن يحتاجه. وكذلك المسكن الذي كان دوما مؤقتا، واذكر عندما انتقل وزوجته الى بيت جديد، زرتهم فوجدت اثاث المنزل متكوما جانبا ومغطى بملاءات الاسرة، فسألته عن السبب، متخيلة انهم لم يستقروا بعد في الشقة الجديدة. أخبرني ان هذا المنزل لصديق سافر الى الخارج واعطاه اياه مفروشا باثاث فاخر لا حاجة له به فكل ما يحتاجه كنبة للزوار وكرسيان وطاولة للكتابة ومكتبة وما عدا ذلك اشياء فائضة لا داعي لوجودها. كان يستغرب من ولع النساء بالاثاث والاشياء الكمالية. اثاث بيته بسيط جدا. بعض الصور لماركس ولينين وغيفارا وملصقات الجمعية المشاعية وبورتريه له من رسم فنان صيني الى جانبها قصيدة باللغة الصينية اهداها له شاعر صيني، وكثر من الكتب والاوراق وتاريخ من البحث والعلم والنضال.

سألته في احدى الزيارات انت ماركسي ولست سوفيتيا، لماذا تعلق صورة لينين، الا تجد في ذلك تناقضا؟؟ تطلع الي باسما وقال: هذه الصورة هدية من اصدقاء اكراد وانا كما تعلمين احب الاكراد وادافع عن قضيتهم ولذلك احتفظ بهذه الصورة. عندها فهمت ان شيخنا اذا احب شخصا يتقبل منه كل شيء واحيانا يبرر الخلاف معه بكل ود. جملة من اشيائه الصغيرة ترسم ملامحه الحميمة التي تشيع الدفء، وتعزز الثقة بأن الحياة لا تزال بخير. فهناك مشاعر تتحرك بحضور المرأة الزوجة ام حسن الوجه الهلالي الاسمر القادم من احزان دجلة والفرات، ام حسن ذات التكوين الامومي للجسد، وقلقها الدائم على صحة هادي، ورحابتها وحسن استقبالها ومشاركتها في الحوار ومساندة زوجها وتأييده، وتدخلها الملطف للنقاش.

علاقتي مع (أبو حسن) لم تعد علاقة بين صحفية وباحث. صار وزوجته يدعوانني لتذوق الأكلات والحلويات العراقية وهما يفخران بها كأنها تحف يتمنيان ان يعرفها الجميع. في احدى المرات دعواني لتذوق الزلابية العراقية والمن والسلوى المرسلة اليهم من الاهل في العراق، وعندما تناولت قطعة نظر الي شيخنا باستغراب وسألني كيف اتيت الى هنا؟

.في سيارة أجرة!!

.. يعني دفعت نقودا؟؟

... لم أفهم..؟ ربما دفعت!!

.. اقصد أنك امسكت النقود بيدك؟؟

.نعم

.. يجب ان تغسلي يديك قبل تناول الحلوى

.ولكن يا شيخنا نحن احيانا نأكل في الشارع وليس دائما كل ما نأكله معقما ونظيفا. الحياة تفرض علينا ذلك وحتى نعيشها يجب ان نقبل عليها كما هي بدون بسترة او تعقيم..

وما ذلك الجواب طبعا الا محاولة للتغلب على الحرج الذي وقعت فيه لكنه بقي مصرا على مسألة التعقيم خوفا من الامراض.. كان مولعا بالنظافة لدرجة التطرف فإذا وقع شيء على الارض طلب تعقيمه، حتى علبة المناديل الورقية امتنع عن استعمالها عندما سقطت ارضا طالبا من ام حسن تعقيمها. تلك السلوكيات اليومية البسيطة كانت تعكس الى حد كبير تعامل هادي العلوي مع الحياة التي كان فيها شديد الحرص على النظافة، فعاشها معقمة تماما لدرجة أفقدت نظرياته التجربة الواقعية الحية، لتنحصر في افق مثالي طوباوي أبعدته يوما بعد آخر عن المعاناة الحقيقية للشارع المعاصر. ظل محافظا على موقعه البحثي في التراث ليتحول من باحث الى منقب كرس حياته للقراءة والكتابة، وهكذا كان يعيش في الماضي اكثر من الحاضر بهدف رسم لوحة مشرقة للمستقبل، فاقدا متعة يومه لاجل ذلك. حتى تعبت منه الحياة قبل ان يتعب منها فدفعته مرغما على الرحيل، سألها ان تعطيه عامين آخرين ليكمل مشاريعه، لكنها تعرف ان شخصا دؤوبا مثله من المستحيل ان تنتهي

مع ان احواله تغيرت في ما بعد، وتحسن وضعه المالي، الا ان قناعته بالحياة بقيت بسيطة سواء في المأكل او الملبس او المسكن. امضى اربعين عاما من عمره نباتيا محرما على نفسه اكل كل ما هو روح مقتنعا بالزاد البسيط. وجبة العشاء مثلا، كأس من الحليب وبضع حبات من التمر وشيء من الخبز. ثم يؤكد لزوجته ام حسن ان هذا القدر من الطعام يكفي. البرجوازيون لا يأكلون كل هذا.. يجب ان نفكر بالجياع الذين لا يجدون ما يأكلونه، وسؤاله دوما لنفسه : كيف آكل انا اكثر من حاجتي؟؟

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

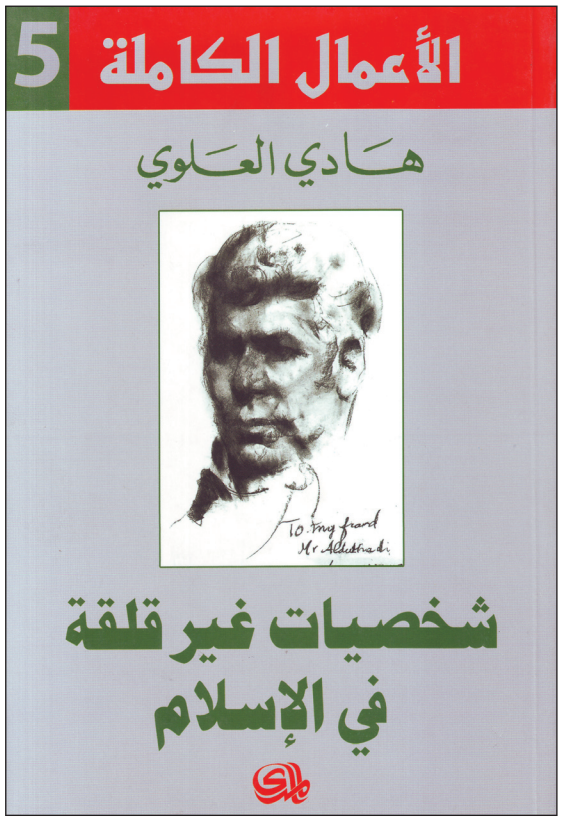

مشاريعه. هاجمه الموت مرات كثيرة وكان يصمد متحديا.

عندما زرته بعد نجاته من الغيبوبة الاولى في الربيع الماضي، قال أشعر انني مت وعشت مرة اخرى وهذه الايام عمر اضافي، اتمنى لو استطيع انجاز بعض مشاريعي قبل ان ارحل الى الابد، مازال مشروع القاموس في بداياته وكذلك مشاريع اخرى كثيرة. سألته: ماذا عن رحلة الموت الاولى؟ قال: سأكتبها في مذكراتي اذا استطعت، ان طعم الموت ليس مرا كما يظنون وانا تذوقته بنفسي ورأيت اروقته دون الاحساس بالفناء. جسدي هو الذي أفنى فقط، فأنا حتى في حياتي هذه تخليت عن الجسد وملذاته.. ثم اضاف: ماهذا التقدم في علوم الطب!! الاطباء يقفون بصدارة امام الموت، ماذا لو كان يتوفر هذا العلم لكل فقراء العالم؟ انني اعترف بحقيقة عودتي هذه على ايدي الاطباء، للاسف هناك اناس يعيشون ويموتون فقرا.. في غيبوبتي زرت بغداد التقيت قليلا مع ابن عربي والحلاج والجيلي وابن الادهم..

بعد سفرته الاولى بدا مندهشا وهو يسرد ما رأى خلالها.. اما الآن فقد مضى دون ان يخبرنا كيف صارع الموت واحدا وعشرين يوما في غرفة الانعاش، بعد اصابته بنزف دماغي اثناء البدء بتصوير مقابلة للتلفزيون (ام تي في). في المشفى الشامي اجريت له الفحوص اللازمة وكان الاطباء يعتقدون ان ازمته تتعلق بمرضه المزمن الربو. نزف الدماغ لم يكن بالحسبان. وهكذا احتال الموت على شيخنا وغدره، لكنه صمد في وجهه ولم يغب عن الوعي الا بعد اكمال الاجابة على اسئلة المقابلة التلفزيونية في غرفة الانعاش، كما افاد الطبيب مبديا اسفه الشديد لعدم الانتباه لضرورة تسجيل كلماته الاخيرة. كان العلوي يرى ان (الحضارة الاسلامية انجزت الكثير ويجب ان تستمر بالانجاز). تركنا واخذنا معه صحته وصحة عينه الوحيدة التي ساعدته في انجاز كل ما اهدى للمكتبة العربية. لم اكن اصدق ان شيخنا يقرأ ويكتب بعين واحدة، لان العين اليمنى كانت

بعد سفرته الاولى بدا مندهشا وهو يسرد ما رأى خلالها.. اما الآن فقد مضى دون ان يخبرنا كيف صارع الموت واحدا وعشرين يوما في غرفة الانعاش، بعد اصابته بنزف دماغي اثناء البدء بتصوير مقابلة للتلفزيون (ام تي في). في المشفى الشامي اجريت له الفحوص اللازمة وكان الاطباء يعتقدون ان ازمته تتعلق بمرضه المزمن الربو.

ضعيفة جدا لا يرى بها، فقط تعرضت لمشكلة صحية في سن الطفولة بسبب الاهمال. علمت ذلك منه حين ضعفت العين الاخرى في الفترات الاخيرة، وصارت القراءة متعذرة ونوعا ما الكتابة. و رغم اسفه على تدهور صحته لم يكن يظهر ذلك ابدا بل بقي يتحرك بنشاط وحيوية ويحاول دون ملال او تعب او شكوى. والاطمئنان على صحته كان من خلال سؤال ام حسن، السيدة النموذجية الواقفة الى جانب شيخنا بشجاعة وصبر، تساعده في عمله وتهيئ له الظرف الملائم والرعاية الفائقة. لم تكن تكتم فرحها لانجازاته الكبيرة والصغيرة، رغم التناقض بين افكارها وسلوكياتها كسيدة شرقية اصيلة متدينة من جهة وبين نزعاتها وشطحاتها الفكرية والنضالية من جانب آخر.

مازلت اتذكر النقاش الذي دار بينهما بحضوري، حول قراره بالاستغناء عن الزي الغربي: القميص والبنطلون وارتداء الدشداشة العربية. قال: دعوت المثقفين لذلك فخافوا من تنفيذ الفكرة ولكن الدشداشة هي زي آبائنا، يجب ان نعود اليه، في البداية رفضت ام حسن الفكرة لانها غير ملائمة له صحيا وبعد هذا النقاش لم اعد اراه الا بالدشداشة، ذلك القرار كان من جملة قرارات شخصية عمل بها، وبشكل مستميت، مثل مقاطعة كل ماهو غربي وامريكي، استبداله بمنتجات شرقية، يابانية أو صينية، حتى الدواء كان يجلبه من الصين كي لا يتناول دواء مصنعا في الغرب..

في اليوم الاول لرحيله لم اصدق ما سمعت.. ورغم معرفتي ألا احد في منزله وجدت نفسي ارفع سماعة الهاتف واطلب رقمه متوقعة ان يجيب هو على الهاتف، اعتدت دائما على الامر، حيث يبادر بهمهمات خفيضة: نعم.. نعم.. ثم يعلو صوته بعد ان يتعرف الى صوتي: ها.. ها.. اهلا.. ثم يتوجه الى ام حسن قائلا: يانبيهة، ابنتنا الجديدة على الهاتف.. لنبدأ حديثا طويلا ثم ما ان نصل الى تحديد موعد لزيارتي القادمة حتى يعطي سماعة الهاتف لام حسن، فهي المعنية بترتيب المواعيد والبرنامج اليومي، المتلخص بعشر ساعات عمل من السادسة صباحا وحتى الثانية عشرة ظهرا. ثم ساعة الغذاء والقيلولة، وبعدها عودة مجددا للعمل، تتخلل تلك الساعات احاديث صحفية وفكرية الى جانب بعض الانشطة الفكرية والوطنية كاللقاء بالفقراء وترتيب بعض القضايا الخاصة بالجمعية المشاعية..

في اليوم الاول لرحيله لم يرد احد على رنين هاتفي!!

مضيت الى منزله في مشروع دمر، وصلت الى الباب الذي كتب عليه مرتقى الحضارتين العربية واللغة الصينية، قرعت الجرس وتوقعت ان يطل من خلفه.. هذه الزيارة كانت تختلف عن السابقة، حيث لم يفتح لي الباب احد، فعدت ادراجي خائبة..

بعد اسبوع سألت ام حسن هاتفيا: خالتي كيف حالك؟ اجابت بصوت شتائي اجرد، وقد نزعت رياح ايلول اوراقه: الحمد لله الان عدت من زيارة شيخنا ابو الحسن.. في السيدة زينب. سألتها: وكيف حاله؟.. اجابت: اشعلت له الشموع وقرأت له آيات من القرآن...

جريدة الحياة ١٩٩٨/١٠/٦

قضية للمناقشة

فريدة النقاش

رحل المفكر العراقي العقلاني النقدي هادي العلوي، وفي صمت، دون ان تتوقف اجهزة الاعلام قليلا او كثيرا امام هذا الرحيل، وكان "العلوي" قد نزح من بلاده مطاردا بعد تدهور العلاقات السياسية بين حزب البعث وحلفائه ومن بينهم الشيوعيون في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات، واسفر هذا التدهور الذي اتخذ طابعا تراجيديا راح ضحيته العشرات اسفر عن خروج الاف المثقفين والمناضلين السياسيين من وطنهم فخسروا وخسر العراق، العراق الذي قادته النزاعات المغامرة والاستبدادية الى الهلاك لان حكومته على حد تعبير "العلوي" تحقق وجودها وماهيتها بالاستزلام والبلطجة ولا تعرف معنى العمل السياسي الخالص..

وكان هادي العلوي واحدا من هؤلاء الذين استطاعوا ان يحولوا نفيهم الاجباري عن الوطن الى مأثرة بكل معنى الكلمة فاصدر عشرات الكتب والدراسات المتخصصة في الفكر والحضارة والفلسفة الاسلامية التي بحث واظهر جانبها العقلاني المشرق وكانت آخر كلماته وهو على فراش الموت (ان الحضارة الاسلامية انجزت الكثير ويجب ان تستمر في الانجاز)..

عاش العلوي حياة الزهاد فأكل واستهلك- فيما عدا الكتب والاوراق- ما يكفي اقامة اوده وابقاءه على حقوق المحرومين من كل شيء هؤلاء الذين لابد ان يشعر المثقفون الاصلاء ازاءهم بالمسؤولية الشخصية، كان قد عاش هو نفسه طفولة قاسية، وفقدت احدى عينيه البصر نتيجة للاهمال وهو ماذكرنا بطفولة عميد الادب العربي د.طه حسين ومأساة فقده لبصره وكفاحه الباسل ضد الظلام.

وهادي العلوي هو احد من مفكرين عرب قلائل درسوا الفلسفة الاسلامية واليونانية وكشف لنا ان الرازي مثل مدرسة متميزة للفكر الفلسفي الاسلامي خرج فيها على مدارس الاغريق والمدارس الفلسفية الاسلامية..

وهو الذي نظر الى شعر الهجاء باعتباره شعرا ثوريا يمكن ان يكتسب مضمونا اجتماعيا او سياسيا يضعه على ملاك الادب الملتزم، وهو هنا لايعود شتما شخصيا محضا، بل انتقاد واعي لحالة ما، اجتماعية او سياسية او دينية او ما في حكمها، ويبقى الهجاء في هذا المنحى من اساسيات الموقف الاجتماعي المتقدم مكتسبا مصداقية من الضرورة التاريخية للفعل الثوري وكان هذا الفعل فضحا موجها ضد المؤسسة الجديدة التي جاء بها الحدث التاريخي..

وقدر "العلوي" عاليا شجاعة هؤلاء الشعراء الذين لم يكن نادرا ان يفقدوا مورد رزقهم وحياتهم ذاتها لان الثمن الذي كان يقتضيه استعمال هذا الحق اي الهجاء كان فادحا بالنظر الى الاتجاه المؤسسي في المعشر الاسلامي القديم الذي وضع ادب الدفاع في صلب مهام المسلم الصالح..

ودرس "العلوي" بتوسع قوى الاعتراض الفكرية والسياسية التي نشأت في مراحل التاريخ الاسلامي المختلفة والتي تعرضت للعزل والتهميش والملاحقة كما فضح اشكال القمع والاستبداد في هذا التاريخ نفسه.

واتخذ هو نفسه موقفا شجاعا ونزيها في دعم قضية الاكراد- وهو ليس كرديا- والدفاع عن حقهم في اقامة دولتهم المستقلة اسوة بقوميات المنطقة الاخرى سواء العربية او التركية او الايرانية..

وانتقد العلوي بمرارة ازدواجية موقف بعض القوميين من قضية الاكراد كأمة وثقافة وقد اعترف بعض القوميين العرب باسرائيل ودخلوا معها في مفاوضات سلام جاعلين من السلام خيارهم الاستراتيجي، وهذا يعني اعتبار حيفا والناصرة ويافا والقدس العربية وعكا مدنا اسرائيلية، بينما يصر هؤلاء القوميون العرب على اعتبار السليمانية واربيل ودهوك مدنا عربية..

وللعلوي نظرية متكاملة حول الثقافة المترجمة المبتسرة والمنزوعة من سياقها التاريخي، والفكر القومي في عموم الشرق مأخوذ من الفكر الايطالي والالماني والفرنسي ومن هنا ولاء القومي للغرب وعداؤه للقوميات الشرقية..

لقد خسرت الثقافة المصرية كثيرا باكتفائها بذاتها وتجاهلها عددا من المفكرين العرب الكبار في بلدان الوطن العربي شأن العلوي، وهو خطأ لابد من استدراكه يوما..

رحم الله هادي العلوي..

الاهالي ١٩٩٨/١١/١٤

مراقبون من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

هادي العلوي

شيخ متصوفة القرن العشرين

هادي العلوي، العالم الموسوعي، متصوف القرن العشرين بحق، الشجاع الجريء، حامل لواء الحداثة والتجديد في التراث، ورائد التواصل العقلاني بين الماضي والحاضر، وبرحيله توقف قلم نزيه تفرد في كتابته الصريحة والشائقة في عالم يسوده الزيف، سكت صوت حر طالما حارب الظلام والتعصب والجهل، واخاف وما يزال يخيف الجبناء وانصاف الرجال والمجرمين ومتسلقي السلطة والمنافقين والمتحيزين والجبارين الذي كشفهم وحاربهم، والمنحطين في كل بقاع الارض، فما زال قسم من كتبه ممنوعا في اكثر من دولة عربية واسلامية، ومازال بعد وفاته يثير رعب الجبناء، الناقصين، غير الاسوياء، ففي خلال هذا الاسبوع بالتحديد منع احد كتبه من دخول دولة عربية (محطات في التاريخ والتراث)..

محمود سعيد

باستشهاد العلوي ترجل في الصراع احد اعظم فرسان الوغى الذين تستنير الامة العربية بآرائهم وتسترشد باجتهاداتهم وتأنس بنصائحهم وهي تعيش احلك لحظات حياتها الكئيبة البائسة الرديئة.

ولعل اكثر الامور كآبة هو فشلنا في التعبير عن حقيقة نهاية شخص زاه متفرد كهادي العلوي، ما الكلمة المناسبة؟ مات؟ يالبؤس هذه المفردة؟ كل البشر يموتون يرحلون يغادرون، ماذا اذن؟ ربما كلمة الاستشهاد هي التي تميز وفاة هادي عن غيره، فعندما جاءته الجلطة كان يجري مقابلة مع قناة حزب العمال الكردستاني. ان تقويم وتقييم اعمال هادي العلوي لايتسع لها مقال في صحيفة او مجلة، ولاشك بأن العديد من الكتاب سينبري لهذه المهمة العسيرة واللذيذة معا، فما ترك العلوي من آثار متعددة وكثيرة وغزيرة ورائدة لابد من ان يجتذب الكثير من الباحثين الطيبين الخيرين الذين يطمحون لعالم افضل لكل البشر الذين يعيشون على سطح الكرة الارضية.. وازعم واظنني على حق انهم سينكبون على تراثه سنينا وسنينا ليظهروا اي انسان عظيم كان هذا الرجل الزاهد الناحل المتجرد من او شاب العيش وقذارة الدنيا والمال.

لكني وبالرغم من انني حديث العلاقة مع العلوي استطيع ان اميز خطوطا رئيسية تميزه عن غيره:

١-عدم تعصب العلوي لاي دين او مذهب في ابحاثه الرائدة في التراث العربي والتي يبدو شاهدا على عمقها سفره الرائع المستطرف الجديد، وعشرات الكتب الاخرى التي تتكئ على التعمق في النظر وانتقاء كل ماهو انساني ومتفتح فيه لفتح المجال امام اتجاه صائب في دراسة التراث، بحيث يؤدي ذلك الى ابراز التراث على حقيقته كما هو من دون رتوش فيتحرر المستقبل من الماضي ويتحرر الماضي من اخطاء المستقبل التي تجير من دون حساب على قائمة الماضي.

فهو الشيعي الموسوي لكنه كان افضل من كتب عن ابي حنيفة زعيم السنة، لم ينتقص منه ومن اجتهاداته، اشاد بعلمه وبعد نظره بشكل اوغر قلوب الاقزام وديدان التفرقة المذهبية، وكتب عن عمر وابي بكر وعمر بن عبدالعزيز بنفس الروح العلمية مشيدا بأعمالهم غير منتقص منهم بأي شكل من الاشكال..

اقول ذلك وانا اشعر بالالم والخزي لتطرقي الى التفرقة المذهبية التي قضت عليها ثورة الرابع عشر من تموز ٥٨ بحيث اختفى من ينادي بها آنذاك لكنها عادت ومع الاسف الشديد بعد سيطرة اشباه الرجال على مقدرات العراق منذ الثامن من شباط ٦٣ وحتى الوقت الحاضر، ولو كانت عودتها طبيعية لهان الامر لكنها جاءت عارية مكشوفة قبيحة تناقش في الصحف والمجلات كقضية ملتهبة لا يخمد نارها الا بتقسيم العراق.

وكتب مشيدا ببطل خارجي (شبيب الشيباني)، والخوارج كما هو معلوم من اعداء الشيعة.

وهو مسلم لكنه كان يعتبر المسيح مثله الاعلى واشاد به في غير ما مكان.

لم يتعصب هذا الانسان العظيم او ينحاز الا للانسان ومصالح الانسان.

٢-ريادة ابحاثه الصينية وكشفه وتقديمه باسلوب بسيط واضح الفلسفة الصينية التي كانت مجهولة كلية للقارئ العربي، كان كتاب الغرب ومضبوعي الغرب قد غرسوا فينا عقدة الدونية لان الفكر الشرقي خال من الفلسفة، وانه فكر بسيط سطحي عاطفي، وان الفلسفة لاتوجد الا في اوربا، فجاء العلوي ليقدم فلسفة الصين التي لاتقل عمقا عن فلسفة اليونان واوروبا، ليقدم ابطالا بشرا مثلنا كافحوا وفشلوا وانتصروا، لكنهم تركوا تراثا ذا قيمة حقيقية لايعرف قيمته سوى الذي اوتي الكثير من الانسانية والقلب الواسع وبعد النظر.

٣-تقديمه لابطال شعبيين في التاريخ مثل شبيب الشيباني الذي يفوق روبن هود بطولة وشهامة وثراء انسانيا، وكشفه عن جوانب انسانية عميقة لدى رجال آخرين لم نكن نعرف عنهم سوى وجه واحد، لكنه استطاع ان يكشف عن سمو اخلاقهم والتصاقهم بالانسان.

٤-سلسلة معاجمه الحديثة -العشرة- والتي لم يسبقه في فكرتها احد في هذا القرن، والتي افتتحها بقاموس الانسان والمجتمع.

ان ريادة نقطة واحدة من النقاط المتقدمة تحجز للانسان حيزا رفيعا في سجل الخالدين، فكيف بأربع نقاط؟.

ايحق لي ان اقول بعد هذه المقدمة المبتسرة ان آخر الموسوعيين العرب قد استشهد وحيدا في الغربة؟ أهذا يكفي؟ لا بالطبع.

مناقب العلوي

هنا اشياء خفية شخصية خاصة تلصق بأي شخص، لايعرفها سوى المقربين منه، وعند الاطلاع عليها يظهر ذلك الشخص على حقيقة صافية او ملوثة غائمة، هذه الاشياء كان الاقدمون يسمونها: مناقب، ومناقب متصوفنا العلوي لاتعد ولاتحصى:

١-التواضع.

ان تواضع هذا الكاتب الكبير الجليل لاكبر من ان يصفها قلم، ففي رسالة مؤرخة في العشرين من اغسطس (آب) هذه السنة اجاب على رسالتي التي كنت بينت له فيها بعض ما كنت اتصور انه خطأ فيما كتبه في احدى المجلات، اجاب على رسالتي بقوله:

عرفت من -رسالتك- حقائق لم اكن اعرفها، وقد ارتأيت ان انشرها ملحقة بكتاب يتضمن حوارات اجريت معي وهو الان تحت الطبع..الخ.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

كانت بيننا مراسلات في مناسبات عدة ولكنها المرة الاولى التي اعترض على شيء كتبه، ولم اكن اتصور انه بعلمه وموسوعيته سيتقبل مايوجه اليه من نقد، فلقد تعلمنا من مشاهيرنا اهمال كل مايمس نتاجهم، لكنه فاجأني بتواضعه الجم ونشدانه الحقيقي.

٢-الزهد.

في الحقيقة هو ليس زهدا خالصا بقدر ماهو كريم ومحب للخير، وان قلت ان اكرم الناس وازهدهم واكثرهم حبا للخير والاخرين استشهد في الغربة فلربما يتهمني البعض بالمغالاة فضلا عن الكذب، لكني سألقي الضوء على ذلك بما يأتي:

اراد بعض العراقيين ان يهدي الشهيد ارزا من نوع ممتاز يشبه ارز العنبر الذي اعتاد العراقيون تناوله ايام الخير قبل ان يقعوا ضحية لاحول ولا طول لها بين سندان القمع في الداخل ومطرقة الحصار في الخارج، فأرسل له كيسين من الرز، وبعد ان تسلمهما العلوي، وزع كل ماوصله بين الاخرين ولم يبق لاهله سوى كيلو غرام واحد قائلا: حالنا حال الاخرين.وفي مرة اخرى اضرّ به مرض السكري فكاد يودي بنظره فأرسل له صديق مبلغا بسيطا ١٠٠$ ليداوي عينه، لكن البريد تأخر بضعة ايام قضاها العلوي في المستشفى، وعندما وصل المبلغ كان بصره قد تحسن، فما كان من العلوي الاّ ان وزع المبلغ على الفقراء.

اما مايرد اليه من عائدات كتبه فلا يبقى في بيته الى المدة التي يقضيها في رفع سماعة الهاتف والاتصال بالمحتاجين والفقراء.

وكانت بيني وبينه مراسلات، وفي احدى المرات التي هاتفته بها تطرق الى ادونيس، وقال لي: نصحت ادونيس اكثر من مرة الا يركض وراء هذه الجائزة الملوثة.. قلت له انها لاتشرفك لكنه لم يسمع كلامي، يقصد جائزة نوبل، وكان يحترم ادونيس لسبب ربما يبدو بسيطا لغير العلوي، لكنه كان دقيقا وموضوعيا كما قال لي في احدى رسائله (نفض الغبار عن الادب الصوفي ووضعه في مكانه المتميز بين فروع الادب بعد ان كان التصوف مجهولا ومشوها بين المعاصرين الذين خلطوه بالدروشة العثمانية)..

٣-حركة المشاعية:

ان كان هناك من قال «في الشدائد تعرف الرجال»، فقد صدق، فلم تمر على الشعب العراقي محنة توازي في شدتها وطولها المحنة التي يعيش في ظلها منذ اكثر من ثماني سنوات وحتى الان، فقد بدأت العائلات كلها تنتحر من الجوع، وانتشرت الجريمة، وكثر الموت من سوء التغذية و و و و الخ..

وفي هذه الفترة العصيبة ظهر العلوي وامثاله من الرجال المخلصين لوطنهم وشعبهم وماضيهم، استطاعوا بوعيهم وعمق تفكيرهم ان يصبحوا مثلا اعلى للاخرين، لم يهنوا، لم يستسلموا لليأس، اصبحوا علامة متفردة وسط اكوام من الساقطين على جانبي طريق طويل لايدري احد متى سينتهي..

اسس العلوي تنظيما متواضعا غير حزبي ومهمة جمع مساهمات بسيطة –خمسة دولارات– من كل عراقي يعمل في الخارج، ليعود فيوزعها على العاطلين من اللاجئين العراقيين وعائلاتهم في الدول التي لاتقدم لهم اي معونة معيشية كسوريا على سبيل المثال او ارسالها الى العراق للعائلات المدقعة.

ربما ينظر المرء باستهانة الى مشروع مثل هذا، ماقيمة خمسة او عشرة دولارات تعطى لمحتاج؟ يالللسخف؟ لكن هذا المبلغ البسيط خير من السكوت والتقاعس، والجعجعة من دون فائدة في المقاهي والبارات، خير من معارضة جوفاء لم تر اي حل لمشكلة وطن ذبيح غير الارتماء في مستنقع الخيانة، نعم انها مبالغ زهيدة لكنها خير من لاشيء.

رحل العلوي والجواهري وبلند الحيدري والعشرات من الكتاب والموهوبين والفنانين والعباقرة.. واحدا بعد واحد، انهم يلعبون لعبة قاسية يهجرون حبيبتهم بغداد، يتركونها الى غير ما رجعة، كالدم المنزوف لا يرجع الى الشريان الذي خرج منه ابدا.

لكن السؤال الملح الذي مافتئ يخترق الاسماع وباستمرار:

متى يتوقف نزف بغداد؟.

جريدة الاتحاد الاماراتية

٢٢ / ١٠ / ١٩٩٨

باستشهاد العلوي ترجل في الصراع احد اعظم فرسان الوغى الذين تستنير الامة العربية بآرائهم وتسترشد باجتهاداتهم وتأنس بنصائحهم وهي تعيش احلك لحظات حياتها الكئيبة البائسة الرديئة.

اراد بعض العراقيين ان يهدي الشهيد ارزا من نوع ممتاز يشبه ارز العنبر الذي اعتاد العراقيون تناوله ايام الخير قبل ان يقعوا ضحية لاحول ولا طول لها بين سندان القمع في الداخل ومطرقة الحصار في الخارج، فأرسل له كيسين من الرز، وبعد ان تسلمهما العلوي، وزع كل ماوصله بين الاخرين ولم يبق لاهله سوى كيلو غرام واحد قائلا: حالنا حال الاخرين.

محطات من فكر هادي العلوي

مازن لطيف

شخصيات غير قلقة في الإسلام

نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي

الاغتيال السياسي في الاسلام

ابو العلاء المعري المنتخب من اللزوميات
نقد الدولة والدين والناس

إن المفارقة التي تلف حياة هادي العلوي تقوم في كونه من أهم الشخصيات العراقية الفكرية والثقافية الحرة في القرن العشرين، وأكثرها تعرضا "للإهمال" داخل العراق.

وهي حالة ليست معزولة عن واقع الغربة الطويلة والمعارضة المستميتة للنظام الدكتاتوري الصدامي من جهة، ولشخصيته الحرة و"المشاكسة" من جهة أخرى. فقد عاش هادي العلوي حياة مفعمة بالعطاء الفكري والثقافي. وهو صاحب العشرات من المؤلفات الجريئة.

فقد شكلت كتبه وآراؤه صدمة للمثقفين ولقرائه لما فيها من اشكالية في طرح قضايا تعتبر من "المحرمات" التي لا يستطيع المثقف العربي طرحها أو مجرد ذكرها. وقدم أعمالا فكرية وأبحاثا غاصت في عمق التراث العربي والإسلامي، الذي وجد فيه أولا وقبل كل شيء فكرا معارضا لسلطة الدولة الغاشمة والمال في العصور الغابرة.

إن قارئ كتابات هادي العلوي يصاب بالدهشة للوهلة الأولى عند قراءة كتبه.إذ يقف أمام أحد العقول الموسوعية التي حاولت المزاوجة بين الماركسية والتراث وهو جوهر مشروعه. فيذكر العلوي أن التجارب الشيوعية فشلت عندنا بسبب أحاديتها المرجعية، إذ اعتمدت حصراً على المصادر المترجمة وأن المصادر الماركسية وحدها لا تكفي وقد أهمل الشيوعيون مصدر التأصل للفكر الشيوعي والنضال الشيوعي، وحاول العلوي أقلمة الماركسية وكان جزءا من مراميه الأخيرة أن أقترب إلى التصوف في أواخر حياته. الماركسي المتصوف ، سليل الحضارتين ،اليساري الملتزم، الولي، المثقف المتمرد ، هذه التسميات وغيرها أطلقت على الباحث العراقي الشهير هادي العلوي.

قدم هادي العلوي البغدادي للمكتبة العراقية والعربية والعالمية أكثر من ٢٠ كتاباً تناولت قضايا التراث العربي والإسلامي وقضايا التصوف وقضايا المرأة، والعديد من المقالات التي تميزت بتحليل ونكهة ماركسية. لكنه وقف في الوقت نفسه ضد فكرة التقديس. فلا شيء مقدس، انطلاقا من كل شيء قابل للنقد والتحليل الموضوعي. وكان نقده واضحا وصريحا لأصحاب العقيدة الشيوعية من السياسيين والمثقفين الذين اخذوا بالانحراف، من وجهة نظره، عن أصولهم الفكرية. حاول هادي العلوي البحث عن زعيم مقتدر يجمع بين الشرف الشخصي والشرف الوطني والطبقي لكي يعمل معه. لكنه لم يعثر عليه إلى أن وافاه الأجل.كان العلوي يرى في أبي العلاء المعري نموذج التنوير في الإسلام وفيه يجتمع من مقومات الموقف النموذجي لمفكر حر، ومناضل اجتماعي ما قد نجده متفرقاً في سواه. ففي كتابه المهم "مدارات صوفية" إدانة واضحة للمثقف المرتشي عبر العصور والمثقف العصر الخاضع والمستلب لسلطة المال. وقد دعا العلوي لبناء مرجعية خاصة بعد أن رأى أن المرجعية الحديثة تنحصر في الثقافة الغربية بمطلقيتها وأحاديتها. ولد هادي العلوي في بغداد سنة ١٩٣٢ ونشأ في (كرادة مريم)، التي كانت آنذاك ضاحية ريفية من ضواحي بغداد. ثم أنهى دراسته الثانوية سنة ١٩٥٠ وتخرج في كلية التجارة والاقتصاد بتفوق عام ١٩٥٤. في أوائل الخمسينيات تعرف هادي العلوي على جريدة (الأهالي) التي كان يصدرها كامل الجادرجي فصارت جريدته المفضلة. في نفس الفترة الزمنية تعرف على علي الشوك، احد أبرز المثقفين العراقيين. وتوطدت معه علاقة متأخرة في الزمن لكنها أضافت الكثير إلى مخزونه المعرفي.

بدأ العلوي نشر بحوثه بعد أن استكمل أدواته المنهجية الخاصة. وكان أول بحث قد نُشر في مجلة (المثقف) سنة ١٩٦٠ التي كان يصدرها علي الشوك، وكان البحث عن أبي حيان التوحيدي وكتابه (مثالب الوزيرين).

ترك العلوي نتاجاً معرفيا في مجالات الفكر العربي والإسلامي وغيرها. واهتم في أواخر حياته بما اسماه مشروع المشاعية. ولم تأسره الأيديولوجية بعد أن هجر الأيديولوجيات الحزبية. وقد اعتبره المستشرق الفرنسي جاك بيرك احد أهم عشرة مفكرين في القرن العشرين. كانت كراهية العلوي بكل أشكالها كرهاً مبدئيا وليس أيديولوجيا. فهو ضد كل أنماط السلطة. ورغم كونه عنيف المزاج في العبارة والفكرة، لكنه كان رقيق القلب متواضعاً كالحقيقة، شامخاً مثلها. لم يدرس فكر هادي العلوي دراسة علمية ومعرفية حتى هذه اللحظة سوى الدكتور ميثم الجنابي في كتابه (فلسفة الثقافة البديلة) الصادر عن دار ميزوبوتاميا في بغداد. وهو الجزء الذي سبق ان نشره الجنابي على ١١ حلقة في مختلف الجرائد العراقية. ترك هادي العلوي العديد من المؤلفات، مثل أراء وأصداء "وهو أول كتاب له ويجهله الكثيرون"/نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي / الرازي فيلسوفاً/ فصول من تاريخ الإسلام السياسي / من قاموس التراث/ المستطرف الجديد/ المنتخب من اللزوميات نقد الدولة والدين والناس/ شخصيات غير قلقة في الإسلام/ المستطرف الصيني/ الكتاب الأحمر/ كتاب التاو/ مدارات صوفية / ديوان الوجد/ المرئي واللامرئي في الأدب والسياسة / ديوان الهجاء/ قاموس الإنسان والمجتمع/ قاموس الدولة والاقتصاد/ قاموس العلوم والصناعات. إضافة إلى العديد من المقالات والدراسات في المجلات العراقية والعربية.توفي في دمشق ودفن فيها. ولم يترك أموالاً أو عقارات وارتضى من القليل لإدامة وجوده الجسدي وترك الكثير من الأسئلة المحيرة.

قالوا عنه:

× كان العلوي يتصرف وسط دهشة الآخرين، بما تمليه عليه قناعاته. فبدأ متصوفاً على طريق الزهاد القدماء (رشيد الخيون)

× لم أعرف مثقفاً عربياً شبيهاً بهادي العلوي. كان بسيطاً متواضعاً رغم معرفته الموسوعية بعيداً كل البعد عن نرجسية و"انتفاخ" الكثير من مثقفينا. (د.ماهر الشريف)

× بقي العلوي يناضل في ساحة الفقراء يحارب صنوف الاضطهاد رغم سقوط المضطهَد في إغراء المضطهِد، لم يفقد إيمانه بالشعب مبرراً السقوط بالجوع. فهو يبرر للضعيف ضعفاً، ولكن لا يبرر للقوي تسلط المتمثل بالقوى الرأسمالية. (سعاد جروس)

× كان هادي العلوي يجسد نموذج المثقف الكوني بمعنى الكلمة، مرهف الحساسية والتأثر بهموم وطنه وأمته. اعتزل الناس وهو في المنفى، في صومعة الفكر، لكنه ما انقطع عنهم وعن همومهم. (رضا السماك)

× كان العلوي عراقي المذهب والتحزب والهوى، تجري في دمائه رياح العراق بكل أجزائه من شماله إلى جنوبه، وبكل قومياته وأجناسه وأديانه ومذاهبه، كان يمثل أصالة الذات العراقية التي تأسست قبل أن يبدأ التاريخ. (رحمن خضير عباس)

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

هادي العلوي: المثقف العربي منخلع عن تراثه والتصوف تجربة فردية

حوار: شاكر الأنباري

الراحل هادي العلوي، باحث ومفكر وسياسي بطريقته الخاصة، عاصر تحولات مجتمعاتنا الفكرية والسياسية والاجتماعية فكان مشاركا نشطا في النقد والتنظير والحوار، يستخدم في تحليلاته واستنتاجاته مناهج عديدة يحاول أغلب الأحيان التوفيق بينها أو دمجها، ماركسية وماوية وصوفية ومشاعية وتاوية، وهو من كل ذلك يروم الوصول الى مقام المثقف الكوني، جوهرا لفلسفات الانسانية والاديان، المدافع عن المظلومين والفقراء والمضطهدين في عصر بدأ ينأى فعلا الى الكونية لكن دون وعيها الانساني، كونية تكنولوجية، عقلانية، دون قلب أحيانا، لا توجهها فلسفة كما يقول هادي العلوي في هذا الحوار. وتلك أخطر ما يواجه الجنس البشري في هذه اللحظة من تاريخه، لأنه صار يمتلك القدرة على تدمير الحياة تماما في كوكب الأرض. ومصطلح المثقف الكوني ولد من رحم الصوفية، والصوفية الاسلامية تحديدا، لذلك كان حوارنا ضمن هذا الجو، الصوفية منهجا وممارسة، ماضيا وحاضرا،باعتبارها جانبا من الجوانب المضيئة في ثقافتنا العربية الاسلامية.

••• تعتبر الصوفية، بمختلف اتجاهاتها، واحدة من ركائز التراث العربي الاسلامي، برأيك ما الذي جعل لها هذه الخصوصية، الأنها امتلكت رؤية متميزة حول الانسان والوجود؟ الأنها خلقت لغتها الخاصة ومفاهيمها وطقوسها؟ هل تعتبر نقلة معرفية للانسان المسلم؟

– لهذه الأسباب جميعها، امتلاك رؤية متميزة حول الانسان والوجود. لغتها الخاصة ومفاهيمها دون طقوسها فالتصرف لا طقوس له. دائما كانت الطقوس عند انتكاس التصوف الى دروشة، ولكونها اخيرا نقلة معرفية للانسان المسلم وقد تناولت كل ذلك، تفصيلا، في كتابي الجديد مدارات صوفية. أما أن الصوفية خلقت لغتها الخاصة فهذا أمر لا يشك به، فلغة التصوف تميزت بالرمزية الشديدة، أعطت المفردات معاني ودلالات توليدية بقرائن بعيدة عن أصولها القاموسية ضمن اتجاه المتصوفة لاختراق المسلمات في العقائد والأفكار واللغة، وقد يكون لدينا معجم صوفي بعيد كل البعد عن المعجم العادي للمفردات لا يفهم إلا من خلال التمرس في كلامهم لفهم مراميه وأبعاده، واضطر كتاب التصوف منذ وقت مبكر الى تأليف قواميس صغيرة أو كبيرة لشرح مصطلحاتهم وأهمل المتصوفة الكثير من أصول اللغويين المقننة بما فيها بعض حالات الاعراب واقتربوا أكثر من اللغة المحكية من غير أن يخرجوا على البنية العامة للغة الكتابة التي لا يمكن تجاوزها لانتاج نص معرفي مضبوط وهم أول من اتجه لاستعمال اللغة الوسطى التي تجمع بين المحكي والمكتوب فتتخلص من تقعر اللغويين وتفاصحهم ومن غير أن تسقط في العامية الصرفة التي لا تفي بطلب النص المعرفي. ويرتبط ذلك باقترابهم من العامة. ان الكثير من النصوص الصوفية لرمزيتها، السائبة أحيانا، تدخل فيما يذاق ولا يفسر، كما قال ابن عربي: علوم أهل الأذواق لا تنقال ولا تنحكي.

••• عندما نقول صوفية اسلامية يتبادر الى الذهن فورا الحكمة الهندية والزرادشتية والمانوية وغيرها من الفلسفات ذات العلاقة بالزهد والاشراق وصراع النور والظلمة، والمحبة المسيحية والغنوصية، هل لكل ذلك وشائج وتداخلات مع الصوفية الاسلامية؟

– لا علاقة للصوفية الاسلامية بالحكمة الهندية ولا بالزرادشتية ولا بالمانوية، إلا أن لها وشيجة بالمحبة المسيحية، مسيحية الأناجيل، ولها أفق عالمي موافق المسيح نفسه كما نقرأه في الأناجيل لا في الكنيسة والأناجيل لا تحسب على الدين إلا بصعوبة وهكذا التصوف والمحبة الصوفية هي الغاء الفروق بين الأديان والمذاهب واعتبارها صحيحة كلها أو أنها كلها تنشد الحق. وهذا هو حب ابن عربي: (أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني).

والحب مصطلح صوفي يراد به غايتان: التسامح بين الأديان والحب الالهي والأخير شأن آخر يدخل في الاهتيامية الصوفية ومقصود ابن عربي في هذا البيت هو المعنى الأول: التسامح بين الأديان. أما الحب الالهي فقد سلكه من خلال حبيبته الكونية نظام وله قصة أوردناها في المدارات.

أقرب المذاهب الى الصوفية الاسلامية هي التاوية الصينية ـــ التاوية الفلسفية دون التاوية الدين وبينهما جذر المشاعية والكفاح ضد سلطة الدولة وسلطة المال قاسم مشترك للمتصوف والتاوي. الحكمة الهندية والزرادشتية والمانوية هي منحى غنوصي ضعيف التأثير على التصوف بمناحيه الثلاثة: المعرفي وا لاجتماعي والاهتيامي المقارنة تتم فقط مع التاوية الفلسفية.

••• كثيرا ما توصف الصوفية الاسلامية بأنها فلسفة باطنية، برأي هادي العلوي هل مرد ذلك يعود الى التقية من العرف الديني السائد، أم لأنها تجربة فردية بحتة؟

– باطنية التصوف تجربة فردية فقط. الأولى هي اندماج المتصوف بروح الكون الذي يسميه الحق. (وهو التأو عند الصينيين) ومن عناصرها الاشراق والفناء والتجلي والرؤية والرؤيا. المتصوف روح خالصة تستنبط الوجود بتجلياته ومطلقيته. والمتصوف من أهل الباطن وباطنيته في هذا المنحى ليست باطنية الاسماعيلية التي تشترك معه في التأويل الباطن للأصول الدينية ولا تشاركه الاشراق أو الفناء أو الرؤيا الاسماعيلية التي تشترك معه في التأويل الباطن للاصول الدينية ولا تشاركه الاشراق أو الفناء أو الرؤيا، فالاسماعيلية حركة سيا ـــ اجتماعية خالصة. والتصوف تجربة روحية تتعلق بها امور متفاوتة بحسب المنحى الذي ينتصف اليه الصوفي: معرفي أم اجتماعي أم اهتيامي. وضد التصوف والاسماعيلية هم أهل الظاهر من الفقهاء والشعراء وعلماء الطبيعة والسياسيين. والتأويل الباطني عند الفريقين موظف لانتاج نص جديد أي مذهب آخر غير الذي يؤسسه النص الأصلي ويصعب تفسيره بالتقية ففيه تكسير للنص الأصلي يتجاوز المسموح به في علم التفسير ويكون مظنة تبديع أو تكفير من أهل الظاهر الحاكمين على النص وأهله. أما التقية التي يأخذ بها الاسماعيلية فهي العمل السري واخفاء المذهب عن الاعداء لتجنب الملاحقة وهو معنى التقية عند عموم الشيعة. لكن الصوفي يجد أحيانا حاجته الى التقية يعالجها باخضاع عباراته للغة دينية يكثر فيها من التسبيح والتحميد ويظهر عليها التكلف والافتعال. أما تأويلاته فهي أدخل في باب المروق المفلسف لا التقية ومناطها وحدة الثقافة والاتجاه الطبيعي نحو المصادر الأم عند البحث في تأسيس جديد لنظرية أو مذهب. إن استناد الصوفي الى القرآن ليس من

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

باب التقية بل هو الرجوع الى المصدر، الانطلاق منه في التأسيس.

... كونك اشتغلت كثيرا على الصوفية قراءة وكتابة ونقدا، هل تعتبر نفسك صوفيا؟ وكيف ترتبط الفلسفة الصوفية كفكر نظري بالممارسة؟

– الغرض هو اعادة التصوف كمصدر للشخصية كوني صوفيا لا أحدده بنفسي. لكن موافقتي على التزامات الصوفية ومبادئهم يضعني في خط التصوف كالتزام. وقد تابعت المعري في عدم أكل اللحم والنباتية الصرفة وخالفته في أكل منتجات الحيوان كالحليب والعسل اذ ليس فيها عدوان على الحيوانات. الاشكال في ذبح الحيوان، أي قتله لأكله. وخالفت المعري أيضا في عدم الدعوة الى النباتية فهي خيار شخصي للمثقف الصوفي ولا يجوز تحويلها الى دعوة لئلا تلتبس أهداف النضال وتختلط أولوياتها. ووافقت المعري في عدم الانجاب فلم أجن على أحد ولو أني تزوجت.....

ان الممارسة الصوفية تعني عدم الامتلاك أولا والاكتفاء بما يقيم ضرورات العيش من الطعام والملبس والمسكن ـــ البسيطة كلها. ويدخل ذلك في مقاطعة سلطتي الدولة والمال والمتصوفة يختلفون في درجة الموقف من سلطة الدولة: مقاطعتها سلبا أو المضي أكثر في معارضتها ومحاربتها، وقد سلكت الطريق الثاني وهو المعارضة وعدم الاكتفاء بالمقاطعة السلبية ولذلك هاجرت من العراق. وهجرتي مراغمة. وأنا أعمل لاقامة المجتمع المشاعي الذي دعا اليه شيوخي التاويون والصوفيون. لكني لا أحسن السياسة واعتمد لذلك على الفئات العاملة في المعارضة لدعمها وساعدتها في تطوير عملها السياسي والاجتماعي. وأنا الآن أبحث عن زعيم قائد كفؤ يجمع بين الشرف الشخصي والشرف الوطني والطبقي لاشتغل في معيته. وللأسف لم أعثر على هذا الزعيم حتى الآن.

ارتباط الصوفي كفكر نظري بالممارسة: وحدة الوجود تدمج الانسان في العالم المعلق، تحوله من رقم الى ظاهرة ومن فرد الى حركة. والانسان المؤهل لهذا التحول هو القطب الصوفي أو المثقف الكوني الذي يتمسك بالمباديء الصوفية في الزهد والتخلي وتخفيف مطالب الجسد لاكمال التروحن الذي يصبح فيه الجسد منطقا لحركة روحية لا متنامية وحسب النظرية الصوفية فالانسان هو المثال للعالم الأكبر وفيه كل ما في هذا العالم من مصادر القدرة ولذلك لا يقع الصوفي تحت طائلة المطالب الشخصية وبالتالي فهو حر بالمطلق لا سلطة لأحد عليه وعلاقته بروح الكون المسماة في الصين، تأو، وعندنا، الحق وقد عرفت الفلسفة عند المسلمين بأنها التشبه بالخالق على قدر الطاقة. فهي عقل محفوز بالعمل كشف عن حقائق الوجود لتسهيل اندماجه فيه. والعمل ينتظم وينتج بقدر ما يستند الى المعرفة الصحيحة بالواقع ويزيد الصوفية على ذلك وحدة الخالق والمخلوق: تاله الانسان وتأنسن الاله. وعلى صعيد الواقع الممسوس يتزود الصوفي حين يستكمل هذه المراحل من تطوره الروحي بقوة خاصة لا تتهيأ لغيره فهو لا يخشى الموت لأن الموت في التصوف هو استكمال لتطوره نحو الانسان الكامل. وقد عرفه صدر الدين الشيرازي بأنه: قوة تجوهر النفس واشتدادها في الوجود. ومن هنا كان التاويون يغنون لموتاهم ولا ينوحون عليهم. ولا يخاف الصوفي من الفقر لأنه فقير باختياره والفقر عنده شرط الحرية. وفي ظل ظليل من وعيه الكوني واندماجه في المعلق يكون تأثيره في المحيط. وللمتصوف هموم كبيرة تعلو على همومه الشخصية وهي التي تحركه في هذا المحيط وتجعله فاعلا لا منفعلا.

... لقد لاقت الصوفية. مؤخرا، هوى واقبالا من كثير من المثقفين العرب، الا يشكل ذلك ظاهرة لها أسبابها؟ هل يمكن عقد مقارنة بين العصر الذهبي للصوفية، أي العباسي، وحاضرنا الراهن من باب التمزقات السياسية والحراك الاجتماعي والهوة الفاصلة بين الفكر والسلطة؟

– لم تلاق الصوفية هذا الهوى والاقبال الذي تتحدث عنه. فالمثقف العربي المعاصر منخلع من تراثه الصوفي. وما حصل حتى الآن هو الاقبال على الأدب الصوفي بريادة أدونيس الذي يرجع اليه الفضل في الكشف عن هذا التراث وتقديمه للمثقفين كمصدر للأدب الجديد. أدونيس نفسه لا يتصرف بوصفه صوفيا انما يستمثل تراث الأدب الصوفي في أعماله الابداعية. يمكننا عقد المقارنة بين عصرنا والعصور الاسلامية السابقة، من جهة الصراع الطبقي فهو محتدم الآن كما كان محتدما في العصر العباسي،ولا نتحدث عن التمزقات السياسية فهي ظاهرة طبيعية في أي مجتمع وأي عصر ولكن نتحدث عن الحراك الاجتماعي، ولا توجد أيضا هوة فاصلة بين الفكر والسلطة في العصر الاسلامي بل في عصرنا. فهناك كانت الدولة تدير سيرورات التطور الحضاري والثقافي ضمن وظيفتها الشرقية والصراع في العصر الاسلامي لم يكن بين الفكر والدولة بل بين الوعي الاجتماعي للطبقات المحرومة ووعي الدولة الاستئثاري ـــ الاستبدادي. وقد ساد الانسجام بين الدولة والمثقفين خارج الساحة السياسية: الدولة رعت الفلسفة والأدب والفقه والطب والعلوم الطبيعية وبفضلها فقط تطورت هذه العلوم الى المستويات المعروفة.

الصراع احتدم بين الدولة والتصوف في المقام الأول. والساحة الأكثر احتداما كانت ساحة التصوف الاجتماعي حين وقف أقطاب التصوف الى جانب صفوف الخلق ضد سلطة الدولة والدين والمال. وكانت هناك أيضا ساحة صراع للفقه كانت شاملة في القرنين الأول والثاني ثم تقلصت في القرون اللاحقة. وكذلك علم الكلام الذي بدأ فكرا مقاتلا ضد الدولة. ولم يكن الخلاف حول المقولات الفكرية الخالصة بل حول المتعلقات الاجتماعية والسياسية لهذه المقولات. وقد تكامل الفكر المعارض هذا مع الحركات السياسية التي قادت المعارضة في الدولتين الأموية والعباسية وفي دول الأطراف والطوائف.

لم يكن الخلفاء الأمويون والعباسيون أميين، كذلك حكام الدويلات المنشقة فالثقافة الأدبية والفقهية كانت أمرا عاديا في المجتمع الاسلامي. وكان الحاكم لا يصل الى الحكم الا بعد أن يستكمل دراسته في هذا المجال ويصدق ذلك على أنظمة ولاية العهد. وحتى الحكام المتقلبون الذين يقفزون الى السلطة بتحرك أو تآمر عسكري لم يكونوا خالين من الثقافة. وكان الجميع على اتفاق بشأن حماية المثقفين ووضعهم في رعاية الدولة. وكانت المعارضة اختيارا للمثقفين على الضد من رغبة الدولة الحريصة على ضمهم اليها. فالهوة لم تكن بين الفكر والدولة بل بين المفكر والدولة. وقد أعطى الفكر في الاسلام مهمة عملية تخرجه عن العقلنة الاحادية الخالصة. ومن هنا جاءت المعارضة لتكون تيارا ساحقا في الوسط الثقافي واعتبر المثقف العامل مع الدولة خارجا على أصول المعرفة.

ويختلف الوضع عندنا عن الوضع في ذلك العصر. فنحن نواجه الاستعمار الذي لم يكن موجودا عند اسلافنا المسلمين. وصراع المثقف المفترض هو اليوم صراع مزدوج: طبقي ووطني. ومسؤولية ذلك أكبر وأعقد.، ،في هذا الخضم نحتاج الى استعادة الشخصية الصوفية كمصدر لتأسيس مثقفية مناضلة ضد الرأسمالية المحلية والاستعمار العالمي. وهذه لم تتأسس بعد في الوسط الثقافي المعاصر. ان مصادر ثقافتنا الحديثة تنحصر في الثقافة الغربية بمطلقيتها وأحاديتها لا توفر الأساس الصالح للتكوين المثقفي وتضع مثقفنا تحت تأثير المطالب الحضارية للغربيين وهي مطالب سياسية واقتصادية سالبة ترتبط بالمصالح العليا للدول الرأسمالية وينبغي التفريق بين الثقافة الغربية والثقافة الحديثة. وقد فصلت الفروق بينها في كتابات سابقة. ونحتاج لتوطيد ثقافتنا الى استيعاب التراث الثقافي ليس الاسلامي وحده بل الشرقي عموما لاسيما الصيني فهو أقرب الى الأنسنة من الثقافة الغربية. التي آمل كذلك لأن يتطور الهوى والإقبال على التصوف في أوساطنا الثقافية الى استيعاب لمطالبه وعدم الوقوف عند حدود الابداع الأدبي.

... هنالك. حسب معايشتي الشخصية، شيوع كبير للعلوم الباطنية في المجتمعات الغربية، الرقص الصوفي التأمل الباراسيكولوجي، التركيز، القوى الخارقة، الطب الصيني،بم تعلل هذا الشيوع في مجتمع الكمبيوتر وعلوم الجينات الوراثية واكتشاف الفضاء؟

– هذه الظواهر تحدث في دوائر صغيرة من النخب المتعلمة والمثقفة في الغرب ومنشأها الخواء الروحي للحياة في الغرب وتقلص ساحات النضال الاجتماعي مع هيمنة القوى الحاكمة والمالكة على مجموع النشاط في المجتمع الذي يتعرض لضغط جمعنة استبدادية تضيق بها فرص التحرك الحر للفرد، فيلجأ الى الماورائيات. ولا شأن لعامة الشعب بهذه الظواهر فهي مهمومة بمشكلاتها المعيشية والركض اليومي لتوفير مستلزمات الحياة وانتهاز الفرص ولا تتعارض هذه الماورائيات مع الكمبيوتر وعلوم الجينات الوراثية والفضائيات فالعلم البحت ما لم يخضع للفلسفة والأنسنة يكون حاله حال السمكرة ولا تختلف أولوياته ومطالبه عن أولويات ومطالب سوق الصفافير وهذا هو حظ العلوم والتكنولوجيا في الغرب الرأسمالي، والرأسمالية لا روح لها بل هي جسد خالص وهي حسية لذائذية مطلقة. ان الخواء الروحي للمجتمع الغربي يدفع الى البحث عن مسارب لتصريف الطاقات المشحونة عند الأفراد. ولا علاقة لهذه الحاجة الارتكاسية بالنزوع الى التصوف اذا أخذناه بحدوده الاسلامية السابقة لعصر الدروشة. والتصوف بهذه الحدود غير معروف في الغرب لأن التصوف الأوروبي لا يختلف عن الدين ولا يتعارض معه وهو أقرب الى البوذية منه الى روح الشرق الجماعية ـــ المشاعية. والبوذية خرافة لم تنفذ الى الشعب الصيني الشديد الارتباط بحكمائه اللادينيين وانما راجت في الهند قارة الأديان والأساطير.

ان الممارسات والطقوسيات التي ذكرتها لا تندرج في المنحى الروحي للحياة الفاضلة، بل هي من أبواب الخرافات والسحر. الرقص الصوفي من فنون الدروشة وله ارتباط بالسحريات. التأمل مفتعل ودخول في الغيبية المطلقة وليس هو التأمل الصوفي الذي يمارسه القطب في خلواته ليتذاهن مع روح الكون فيقطع مع الأغيار من الحكام والأغنياء ورجال الدين ويكون اندماجه في المطلق هو عين الاندماج في الخلق (الشعب). الباراسايكولوجي، ما وراء النفس، محاولة للهروب من المنطق العقلي الى العالم الاسفل. التركيز ضرب من السحر. القوى الخارقة لا وجود لها وانما الخارق هو قدرة القطب الصوفي أو المثقف الكوني على تحدي السلطة الطبيعية والدولة، ولم أعرف المقصود بالطب الصيني فهو علم للعلاج ولا علاقة له بالغيبيات وليس في الطب الصيني سحر أو تنجيم بل هو علم خالص كالعلم الاسلامي والاغريقي.

الشخصية الغربية من جهتها، والكلام على شخصية المثقف المتعلم، مزاجية غير مستقرة بسبب فوضى الحياة في الغرب. وقد التقيت في الصين سيدة بريطانية اعتنقت الاسلام وغيرت اسمها الى خديجة ثم اعتنقت البوذية ثم صارت ماركسية ثم عادت الى المسيحية البريطانية.

جريدة السفير
١٩٩٨/٩/٢٥

ارتباط الصوفي كفكر نظري بالممارسة : وحدة الوجود تدمج الانسان في العالم المعلق، تحوله من رقم الى ظاهرة ومن فرد الى حركة. والانسان المؤهل لهذا التحول هو القطب الصوفي أو المثقف الكوني الذي يتمسك بالمباديء الصوفية في الزهد والتخلي وتخفيف مطالب الجسد لاكمال التروحن الذي يصبح فيه الجسد منطقا لحركة روحية لا متنامية وحسب النظرية الصوفية

الصراع احتدم بين الدولة والتصوف في المقام الأول. والساحة الأكثر احتداما كانت ساحة التصوف الاجتماعي حين وقف أقطاب التصوف الى جانب صفوف الخلق ضد سلطة الدولة والدين والمال. وكانت هناك أيضا ساحة صراع للفقه كانت شاملة في القرنين الأول والثاني ثم تقلصت في القرون اللاحقة. وكذلك علم الكلام الذي بدأ فكرا مقاتلا ضد الدولة. ولم يكن الخلاف حول المقولات الفكرية الخالصة بل حول المتعلقات الاجتماعية والسياسية لهذه المقولات.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

في ذكرى رحيل المفكر هادي العلوي

بورتريه مختلف لرجل استعاد لذاته مكان الفقر الأول

خالد سليمان

تعتبر شخصية المفكر العراقي الراحل هادي العلوي من بين الشخصيات الأكثر إشكاليةً في الثقافة العربية والإسلامية والأكثر إختلافاً في حقول المعرفة الفلسفية والدينية. وهذا ما دفع المستعرب الفرنسي «جاك بيرك» الى اعتباره واحداً من أخطر عشرة مفكرين في القرن العشرين، ووضعه في موازاة سارتر، فوكو، هربرت ماركوز، كاستورياديس، برتراند راسل، سونغ لي، تروتسكي، وأخيراً نعوم تشومسكي. هذا الرجل الذي جمع بين الدين والفلسفة والمعرفة والسياسة في كتاباته وبحوثه الفكرية النقدية، دخل عالم الفكر والثقافة من مكان منسي وبيئة اجتماعية هامشية مرتبطة بفقر شديد وتخلف ثقافي كبير صنعه برأي العلوي العثمانيون.

حاولت في حواراتي الطويلة معه في أعوام ١٩٩٩،١٩٩٨،١٩٩٧ التحدث إليه عن طفولته وتأثير المكان عليه، بالإضافة إلى ذلك الفقر المدقع الذي كانت تتميز به «كرادة مريم» مكان ولادته، وهي ضاحية من ضواحي بغداد يقول عنها العلوي: «يصدق على أهلها بالضبط وصف (إنجلز) فلاحين مستقرين لكنهم في حالة إنحطاط». كان هذا الوصف المستعار اختصاراً لسرديات المكان أراد من خلاله العبور إلى ضفة أخرى وهي ضفة «جميع الخلق» أو الكل المؤتلف في اختلافه وفي الفُقرِ الكلي الذي أصبح فيه الفجل مصدراً للتجارة. بذلك أراد العلوي الحديث عن عموم «الخَلق» حسب تعبيره، والإبتعاد عن الأمور الذاتية التي كانت تشكل بالنسبة له نوعاً من النرجسية لدى الكاتب. رأيت هذا الوصف لتلك المرحلة، أي العقد الأخير من النصف الأول من القرن العشرين، باباً مناسباً للدخول إلى ذاكرته والعودة من خلالها إلى كرادة مريم لإظهار طفولته. سألته عن مستويات ذلك الإنحطاط ومكوناته وأسبابه وكان جوابه كالآتي: «شأنها شأن المدن، فقد امتد التأثير العثماني إلى تلك الضاحية، ومسها حضارياً وحتى انتاجياً. فرغم خصوبة التربة ووقوع الكرادة على ضفاف دجلة، فقد كانت مزارعها كالهشيم المحترق وبساتينها خفيفة متفرقة الشجر. وكانت القيم الموروثة في حالة «البلبلة» والفقر الشديد إلى حد أنهم اعتبروا «الفجّال» تاجراً وكانوا يسمون الفجل «أبو خوصة الذهب» (كانوا يشدّون باقة الفجل بالخوص) والكادح منهم يضع طبق الفجل على رأسه ويذهب إلى بغداد ليبيعه إلى أغنيائه. والفجل عند «البغاددة شاويش العشا أي عريف الطعام.

وحسب رواية العلوي فإن ما كان يأتي للفجّال من طبق الفجل هو رزق يومين، وإذا تأخر عن البيع ثلاثة أيام لم يجد عياله طعاماً. وارتبط ذلك الفقر الشديد بانحطاط الوعي.

في عام ١٩٣٢ وفي تلك البيئة الفقيرة اقتصادياً وحضارياً، ولد هادي العلوي من عائلة متدينة وكبر مع البؤس والحرمان، عمل والده عاملاً في البناء، ومات جده المتفقه السيد سلمان عام ١٩٣٧ أي بعد خمس سنوات من ولادته. تعرف في نعومة أظفاره على شيئين رئيسيين وهما صورة الفقر القاسية في ملامح أمه ومكتبة كبيرة مليئة بأمهات المصادر الإسلامية تركها له جده. تظهر ملامح شخصية العلوي في سياق الصورة الأولى من خلال كلمات محدودة لم يضف إليها شيئاً في لقاءاتي معه وهي: « تأثرت طبقياً بوضعي العائلي، عانيت الفقر مع والدتي، مما غرس في وعيي الصغير كرهاً للأغنياء ولدولة الأغنياء». اختصرهذه المرة ايضاً السرد وتفاصيل حياة معذبي «كرادة مريم» إلى جمل قصيرة ومكثفة، وبدأ يتكلم عن الصورة الثانية المتمثلة في مكتبة السيد سلمان التي أوصلته إلى صدمة مبكرة في حياته وهي أن الإسلام يبيح التملك العام ويسمح بتقسيم الناس على مالك ومحروم وخادم ومخدوم.

العثور على صورة طفل في طفولة العلوي هو أصعب الأشياء في أي بحث عنه، لأنه افتقد للطفولة أولاً وتجنب الحديث عنها إن وجدت ثانياً. فرغم كل محاولاتي المتكررة بالتحدث إليه حول ذات الموضوع، أي الطفولة وكرادة مريم، فضل التكلم عن «العلوي» الكبير وأمكنته الكونية التي أصبحت مساحات للمعرفة لديه. وبسبب هذا النزوع الكوني إلى النظر للمكان لم يعتد الإرتياد في حياته اليومية على الأماكن العامة، وأسس لذاته بؤرا مكانية إفتراضية ك «معرة نعمان» مثلاً. واختار في فترة شبابه مقهى «حسين الحمد» للقاء بالمثقف العراقي شاكر جابر في تلك الفترة ، ولا نستغرب إن سألناه عن مقهى ما في حياته وهو لا يعرف سوى مقهى الكرادة «حسين الحمد» الذي تحدث عنه بأسطر قليلة بعد مشاكسات كثيرة مع ذاكرته وأسئلة مكررة:

«ما يشدني إلى مقهى محلتنا التاريخي، هو جلساتي مع شاكر جابر وأخي الكبير كاظم وكان بعيداً عن همومنا الثقافية بسبب نزوعه نحو علوم الطبيعة، ولكنه كان يحضر جلساتنا مكتفياً بالاستماع».

«حسين الحمد» مقهى للطرف أي لأبناء المحلة. هو مكانهم الذي يستريحون فيه من عناء العمل ويتسلون بلعب الدومنة والطاولة «النرد». لم أكن من رواد المقاهي وإنما أخذني إليها شاكر وكاظم. وهكذا فالمكان الذي هو المقهى يصبح عندي المدرسة المفتوحة. وعندئذ يفقد المكان المقهى مفهومه الجغرافي ليكتسب جوهرية أخرى من علاقتي به».

بعد تعرفه على مكتبة جده الغنية بمصادر التراث الاسلامي وبداية رحلة التعرف على عالم الكتب والقراءة، يتعرف على شاكر جابر الذي يوجهه بدوره إلى طريق الثقافة العلمية. ويصف العلوي جابر صاحب رواية

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

ياصديق عمر طويل ورفيق كفاح وحادي القافلة في مسيرة الفكر

د.عز الدين مصطفى رسول

هادي! يا أبا الحسن

ارثيك واناجيك، وكأني بك تسمعني، فأنا في حالة من الحالات التي طالما اشتركنا فيها ولم ابلغ فيها مقامك، انا معك في رصد مادي للجة المثالية او التصوف، انا ادري بأنك تحب ان تسمع نبرات لغتي الكردية، فقد كنت تجد فيها ترانيم العشاق والكادحين والفقراء والمناضلين في كل شبر من كردستان التي احببتها، ولكنني ادري انك تشتاق ان تسمعني بلغة المعري وجنيد وذي النون ثم الجواهري، عيناك ياهادي.. فقدتا النور او تكادان تفقدان ولكنك لم تترك حروف كتاب، قدماك صارتا عاجزتين فكنت تقضي الساعة الوحيدة المفروضة للتمشي مع نطاسي حاذق متكئا على عكازة وعلى كتف احب الناس اليك، واكثرهم اخلاصا لك، بل اكثرهم روعة ومعرفة لك ولقيم الزوجية، على نبيهة، التي نالت شرف ان تكون رمز الاخلاص من بين بني جنسها ومفخرة ان تكون رفيقة حل وترحال وفكر وعمل هادي العلوي في تاريخ وتراث سيخلدان كنت تتكئ عليهما ولكن اناملك لم تفارق القلم السيال الذي ابدع وابدع وسيبدع الاخرون بوحية في بوحيه القلم العربي الخالد.

كثيرون يفقدون احبتهم، هذا في الوطن وذاك في الغربة، او على خلاف في الموقع والامر، وكثيرون يتحسرون على انهم لم يشتركوا في حسرات ساعة الرحيل ولم يسعدوا بالنظرة الاخيرة على الحبيب الراحل، ولكنني هل كنت سعيدا في اني سعدت بلقائك بعد سنوات بعاد وافتراق، ثم كنت الى جانبك في اسابيع الغيبوبة وساعة الوداع، ولثمت عبير "مقام السيدة" حيث دفناك وودعناك؟ تلك هي حكايات ياهادي في مسار تلك اللجة، ولكنني اذ اعود الى كردستان، مغادرا ومفارقا لك في احسن واحب موقع غربة لي ولك، في دمشق، فاعود الى ارض الواقع وسنن التقييم الحقيقي فأقول: هادي العلوي، صديق الكرد، فقد وعيه، وغادر الحياة وعيا، اذ تأخر الجسد من المغادرة، وهو يحدث عدسة تلفاز فضائي كردي • ليقول: انا مع الكرد، ومع حقوق الشعب الكردي في كل مكان، مع الدولة الكردية التي اتمنى رؤيتها، ومع العمال والكادحين الكرد، ومع جموع حزبكم، ولكنني امقت الفردية واكره امراء الحرب اينما كانوا.. ثم وقع، والعدسة تلتقط، وكانت هذه آخر كلمات هادي العلوي الذي تكلم كثيرا وكتب كثيرا، وظل صادقا للحقيقة التي آمن بها ونذر نفسه لها.

بدأ عمله في التراث من (الكنز) واذ آمن ان الانسان كما قال ماركس اثمن رأسمال في العالم، فانه قصد "الكنز في الاسلام" وهز عصاب ابي ذر الغفاري بوجه المرابين وناهبي عرق الجبين وقوة العضل ونادى بكل عشاق وجامعي الرأسمال عبر القرون، وباسم ابي ذر: والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم.واذ تناول غيره الشخصيات القلقة في الاسلام، فانه وقف مع شخصيات غير قلقة ونبش التراث المكنون ليظهر انهم اثبت اقداما في قاللة الفكر والتاريخ.

اين تجد ومضة مشعة في التراث لم يسلط عليها هادي العلوي عدسة مكبرة ونظرا ثاقبا اخترق العمق، فكانت هذه فحوى ومحتوى كتبه العديدة ومقالاته الكثيرة التي تجد فيها احضار وبعث التراث واضفاء روح المعاصرة عليه، بل وضعه في خدمة الحاضر والمستقبل وفي خدمة افكاره الثورية التي لم تكن تعرف المهادنة وفي خدمة ثوابته السياسية والفكرية التي كان يضجر منها حتى بعض الاصدقاء.

لن يكون حديث صديق زامل وعاشر وعمل مع هادي قصيرا ومبتسرا، ولكن الفرصة المتاحة الان تضنك بالوقت والاسهاب، فشخصية هادي العلوي مفكرا وباحثا ومناضلا تسمح بالعودة اليها لامثالي في مدى ارحب، ولكنني اذ ازعم اني عرفت جوهره فلا بد لي من ان اقول:

كان هادي منسجما مع نفسه، واذ يرى البعض فيه التأني والصبر في التجول بين اسطر كتب التراث، يزيح عنها الغبار ويخرج الذهب الابريز، ويرى عنده احكاما علمية، عادلة، حتى اذا اختلف مع الاخرين، فانه كان عنيفا في الاحكام السياسية اليومية، وكانوا يريدون منا ان ندعوه الى نبذ الحديث عن السياسة اليومية والتركيز على التراث، فان ذلك كان عسيرا او مستحيلا فلم تكن بقادر على حبس او دفن هادي بين دفات الكتب بعيدا عن الحياة ومستجداتها، واذ كان هادي الذي وضع عصا الترحال في الصين اكثر من مرة، مضطهدا مجبرا على الهجرة، فقد تمثل بقول الرسول الكريم ليطلب العلم في الصين ويوسع من افاق فكره الاممي، لا في سياسة اليوم والتآخي بين الشعوب، بل في اغوار القرون ليرى ان الحضارة البشرية واحدة، صنعها الانسان، واذ كتب على باب داره (ملتقى الحضارتين) اي الصينية والاسلامية، فقد كانت ابعاده الاممية تعود الى مبتدى ايجاد البشر، ليرى الانسان مناضلا ضد الظلم ويوحد في هذا بين "المستطرف الجديد" و "المستطرف الصيني) وبين نضال الصينيين وكافة البشر ضد الرأسمالية والاستعمار والصهيونية..

كانت محاربة هذا الثالوث من ثوابت فكر هادي، فكان يربط بين حاضرها بجذورها، فلا يعرف في هذا العمق والسعة ما يسميه بتاكتيك السياسة وفن الممكنات، ويتمنى ان يعود للعراق يوما ليحارب هذا الثالوث، وكانت له مشاريع مشاعية قد يراها بعضهم خيالية، ولكن ثبات العلوي عليها ورؤيته واحلامه لادامة مافي دفة الكتب من فكر وعمل الانسان وخلق جنة ارضية منها في المستقبل، هو لحمة وسدى هذا الانسجام في فكره وعمله، زاهدا في الحياة، بعيدا عن ملذاتها من "مال وبنون" ليقول الحق ولو على نفسه.

الكلمة التي القيت في تأبين العلوي في اربيل عام ١٩٩٩

على طاولة واحدة، وبقي منعزلاً داخل بيته المحصن ضد التفسخ السياسي.

لقد لازمته ميزة الحذر والتفادي لرموز سلطات الدولة والدين والمال منذ أن كان طالباً في الجامعة، ونتذكر هنا حدثا مهما في حياته يتعلق بهذه المسألة وهو تفاديه مصافحة شخص ملك العراق عندما وزع الشهادات بين الطلاب المتفوقين. حدث هذا عام ١٩٥٥ وكان العلوي من المتفوقين على كلية التجارة والإقتصاد في بغداد.

سيطرت عناصر الثقافة الريفية على شخصية العلوي وتكوينه الفكري حتى بعد خروجه من بيئته الدينية والإجتماعية المتخلفة حضارياً واقتصادياً ويقول عن نفسه: كان لمهدي الريفي أثر على بساطتي الثقافية في النشأة وأذكر نكتة قالها لي صديقي الراحل «يوسف عبدالقادر». لقد رحمك الله إذ أخرجك من الكرادة ولولا ذلك لكان طول عمامتك ذراعين ولحيتك ذراعاً». لكن بعد خروجه من ذلك المكان المنسي يتعرف في بغداد على إسم المثقف اليساري اللبناني «جورج حنا» في تلك المرحلة ويقرأ كتابه المعنون «صنجة في صف الفلسفة» دون أن يستوعب الأفكار المطروحة فيه في المرة الأولى، لكنه يعيد قراءته ويستأنس به كما يقول، لأن الكتاب بسيط، يعكس شفافية جورج حنا وأسلوبه الظريف الطليق.

والحال، ندرك من خلال هذه البورتريهات المتناثرة المتشابهة لشخصية هادي العلوي أن الصدمة الأولى في حياته تجسدت في عذابات الأم في «الفقر الكلّي» وتليها الصدمة الثانية التي يكتشف فيها أن الإسلام يبيح التملك العام وتقسيم الناس إلى ملك ومحروم وخادم ومخدوم. من هنا دفع سؤال البحث التاريخي والإقتراب من حدود القدسي «غرامشي الإسلام» لتأسيس علاقة إشكالية مع التراث، إذ قام بتفكيك عناصره وفضح وجدان قمعي يتخفى وراءه. وكان للطفولة القلقة التي عاشها العلوي عوامل كثيرة منها عامل القلق العام الذي كان جزءاً من تطور هوية الإسلام الحضارية، والوجدان القمعي والتخلف الاقتصادي والثقافي، والإرث الذي تركته الإمبراطورية العثمانية. دفعت هذه العوامل التي تقدمت على أي شيء آخر في تأسيس مقدمات التصدع التاريخي والاجتماعي والاقتصادي، دفعته للبحث عن جواب يليق بتصدع كرادة بغداد وطفولته المتروكة في تخوم مكان الفقر الأول.

كندا

رسالة العراق ١٩٩٨/١١/٢

ندرك من خلال هذه البورتريهات المتناثرة المتشابهة لشخصية هادي العلوي أن الصدمة الأولى في حياته تجسدت في عذابات الأم في «الفقر الكلّي» وتليها الصدمة الثانية التي يكتشف فيها أن الإسلام يبيح التملك العام وتقسيم الناس إلى ملك ومحروم وخادم ومخدوم.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

باحث متمرد واشكالي من طراز مختلف

هادي العلوي . . المتصوف الزاهد المشكك الناقد!

رشيد الخيون

ترك هادي العلوي (١٩٣٢- ١٩٩٨) ثروة فكرية، لم يمهله الموت لاكمال المهم منها، وهو القاموس اللغوي الذي نشر منه جزءين فقط بدأ العلوي حياته تقيا بالفطرة، لافتا نظر اترابه من الصبيان والشبان، كان متدينا يطيل العزلة، مواجها فقره المدقع بالتأمل والصلاة والصيام، والعفة عن مد اليد او بيع مالايمكن بيعه، وفي هذه الخصلة التي رافقته طوال حياته كان على خلاف مع اقرب الناس اليه، من الذين روضوا انفسهم على القرب من السلطة، واستحلوا مجالسها، كان ذلك محرما فيعرف العلوي، تصرف بهذا السلوك وكأنه احد متصوفة بغداد ومعتزلتها، من الذين حرموا على انفسهم ومريديهم مجالسة اهل السلطة.

لا يندهش الذي يقترب من العلوي فكرا وشخصا من اقدامه على تبني المذهب النباتي في الغذاء والسلوك، ولا يدهشه اقدامه على الحاق لقب (البغدادي) باسمه، فذلك اللقب، مضافا الى كنيته (ابو الحسن) يذكره بمفكري بغداد الاوائل، او ان يلحق باسمه لقب (سليل الحضارتين) او ان يكتب على باب داره عبارة (مرتقى الحضارتين) وهما الحضارة الاسلامية والحضارة الصينية التي شغف بها وتشبع من روحانيتها اضافة الى ماتقدم من غرائب العلوي، فقد اختار (معرة النعمان) مكانا روحيا رمزيا، لاصدار مقالاته او كتبه، حتى جعل الاخرين يسألون او يعتقدون بأنه سكن المعرة واعتزل الناس عزلة ابي العلاء المعري.

تشير سيرته الشخصية الى انه ولد عام ١٩٣٢، وبذلك عاش الفترة الملكية، وساهم في تقويضها بانتمائه السياسي المبكر الى حزب (الجبهة الشعبية)، ثم حضوره الاجتماع التأسيسي لحزب (المؤتمر الوطني) بهذا كان قريبا من شعائر الديمقراطية، فالحزب المذكور تكون من حزبي كامل الجادرجي ومحمد مهدي كبة، ولم تعجب العلوي ميوعة الحزبين المذكورين، فنشأته فقيرا الى حد الجوع، وجمعه لنوى التمر من طرقات بغداد ثم بيعه بفلس او فلسين مماثلا فعل قطب التصوف معروف الكرخي، لايتفق مع الافندية على حد عبارته، لذا دفعته فورة الشباب الى ان يعتقد في نفسه مفكرا شيوعيا، فاخبار غيفارا وماو كانت مغرية آنذاك، فالتنظيم الشيوعي كان يحرض بالكتاب دون بندقية، اما الماوية او الغيفارية فتحريضها كان متجاوبا مع حقد العلوي على الاقطاع والبرجوزاية. لكنه مالبث منخرطا في (القيادة المركزية) فترة وجيزة، حتى خاب ظنه، وعاد ادراجه منكسرا.

الحقيقة ان مثل هادي العلوي لاتصلح له السياسة، فهو الحالم الصوفي، لايناقض قلبه لسانه روحه منبسطة وصافية صفاء النهر عند الفجر، ماله والسياسة وسرعة تقلبها وكثرة وجوهها، وهو لايجيد ابسط مقتضيات المجاملة، فقد تفادى مصافحة الملك فيصل الثاني عند توزيع الشهادات المتخرجين المتفوقين من كلية التجارة والاقتصاد عام ١٩٥٤، وفي اواخر ايامه تمثل بسلوك المهاتما غاندي، فقد خلع البذلة الاوربية، وعاد يلبس اللباس العراقي التقليدي فروحه لاتستطيع تحمل ابسط انواع النفاق، ناهيك عن ان السياسة المخالفة للسلطة، في العراق خصوصا لايصلح لها العلوي روحا وجسما.

نقل عن العلوي شدة تدينه، فكان قسا بين زملائه، لكن تلك الروحية، بعد تحوله الى الماركسية، لم تفارقه، فما كتبه من نقد للدين والتدين لايقصد فيه غير نقد التحايل على الدين واستغلاله، وكان كثير النقد للاعلام الرسمي والشعبي في المناسبات الدينية، بل كان يتهم الاعلام بالنفاق في مثل هذه الامور.

آخر عمل سياسي جربه العلوي كان المشاركة في تأسيس (التجمع الديمقراطي) في منتصف الثمانينيات، وقد خص صحيفته الشهرية (الغد الديمقراطي) بملحمة تراثية، عميقة المعنى، بعد ذلك، وقبل مماته بفترة وجيزة، تبنى مشروعا اطلق عليه اسم (المشاعية الاجتماعية) احسب انه طرحه، عبر صحيفة عربية تصدر في لندن العام ١٩٩٤ كان بصيغة رسالة الى الحزب الشيوعي العراقي والمجتمع العراقي، والمناسبة كانت تأسيس الحزب المذكور، وجاء فيها نقد للشيوعيين، وعرض مشروعه المشاعي الذي يقوم بالاساس على الرصيد الحضاري العراقي، وان هذه الحركة ليست سياسية، وانما هي ناصح وموجه للدولة، واية دولة ستقبل النصيحة والتوجيه من خارجها؟؟ لعل العلوي في هذا الطرح الخيالي اطلع على تجربة المعتزلة مع ابي جعفر المنصور، حين كان رئيسهم عمرو بن عبيد زاهدا في منصب الوزارة والقضاء، بل زهد في مجالسة المنصور الذي كان يتودد له كثيرا لفضله عليه في ايام الحركة العباسية السرية زمن الامويين.

ظل العلوي مغرما بالتجربة الصينية في بناء الاشتراكية، لكنه تراجع عن احترام رائدها ماو بعد ان شن الاخير حملة ضد الكونفوشيوسية، حتى لقب فيلسوف الصين الاول كونفوشيوس بـ(حكيم الطبقات الرجعية) وزاد ضجر العلوي من الثورة الثقافية اكثر بعد ان كشف ان ماو اتخذ موقف العداء من تلك الفلسفة بغضا للمنشق عليه لين بياو الذي كان معجبا بتلك الفلسفة، لكن ذلك لم يؤثر في اعجاب العلوي باشتراكية الصين التي وازنت، على حد رأيه، بين الحاجات الروحية والمادية، بل كان ميلها الروحاني ارجح كفة، وبعد قضاء مدة طويلة بالصين مدرسا للغة العربية، ثم عودته للاقامة فيها فترة اخرى، اطلع العلوي على الكثير من خصوصيات تاريخ الصين الروحي، وكان كرهه للغرب وماديته الصارخة يزيده قربا الى الصين وفلاسفتها، وكأنه يبحث عن ملاذ دولي آخر خارج الملاذ الاميركي- الاوربي كتب العلوي، في طلبه للتقارب بين الفكر الصيني القديم والفكر الاسلامي، تحت عنوان (الميتافيزيقيا الانسانية بين تشوانغ تسه والفكر الاسلامي) (الثقافة الجديدة، العدد ٢٥٠) من الفوات المزعج في تاريخ الفكر عدم اكتشاف المسلمين للفلسفة الصينية، فقد كان لحادث كهذا ان يوجه الفكر الاسلامي في مسارات مختلفة، مع تعدد مصادره، وعد اقتصارها على مصدر واحد هو فلسفة اليونان، ويسبق العلوي الى التقليل من شأن عامل اللغة، فاللغة الصينية ليست كغيرها من اللغات، صعبة الكتابة والنطق، بقوله (ولا يصح الاحتجاج بالحاجز اللغوي، فاللغة الصينية ليست احجية، وقد تعلمها المسلمون الذين وفدوا الى الصين، واقاموا فيها ولو انهم كتبوها اول الامر بحروف

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

عربية، قبل ان يتمكنوا من اتقان المقطع).. اهمل العلوي، ربما عن غير قصد، مهام الترجمة عن اليونانية التي قام بها المترجمون السريان الذي نقلوا عن اليونانية الى السريانية اولا ثم الى العربية، لتسهيل المهمة، ويصعب وجود عربي يجيد اليونانية، من غير السريان من العراقيين والشاميين، لكن التفافاته لترجمة التراث الصيني تبقى امنية في ذمة التاريخ.

ان طلب الانفتاح على الصين بات القضية التي يطرحها العلوي في كل مناسبة، ففي ذلك استغنى عن الغرب والثقافة الغربية التي لم يتردد في اعلان العداء العميق لها، قال في ذلك: (كشفت لي دراسة الفلسفة الصينية عن نقاط مشهودة مع الفكر الفلسفي الاسلامي، وينطبق ذلك على المدارس الفلسفية المعروفة في الصين، لاسيما الكونفوشيوسية، التاوية، الموهية، التاوشية). في مكان آخر يعتبر العلوي امر الانفتاح على الصين قضية غير منتهية، بالنسبة الى الفكر الاسلامي والفكر الاشتراكي العلماني، فبعد اتهام المثقفين المتمركسين، على حد عبارته، يدعو الى قيام الاشتراكية الصحيحة بالانطلاق من تاريخ البلدان وحضارتها، بالاتفاق مع الاقتصاد الماركسي، وهذا ماحصل في الصين التي (انطلقت من تراثها الكموني، لانجاز تنمية ناجحة في قطاعي الزراعة والصناعة الخفيفة، احدثت تحولا جذريا في حياة الشعب، حين وفرت الحاجات الاساسية لمليار نسمة) (مجلة مواقف، العدد ٦٣).

والغريب في الامر ان حنين العلوي للتراث القديم وتوجهه اليه في بناء مجتمع اشتراكي معاصر لم يدفعاه الى دراسة تلك الحضارة، الرافدينية منها او المصرية، ما عدا ماورد في كتابه الاخير (المرئي واللامرئي) (١٢٠- ١٢٨) ولو اهتم العلوي مبكرا في هذا المجال، كاهتمامه بدراسة حضارة الصين مثلا، لحقق نتائج هائلة، فالمعروف عنه المثابرة والعمق في البحث والدراسة.

وبقدر اعتزازه بالتجربة الصينية، ماقبل الثورة الثقافية، التي وازنت كما اسلفنا بين الحاجات الروحية والمادية، وحافظت الى حد كبير على قيم المجتمع الصيني التاريخية، لام العلوي التجربة السوفياتية في بناء الاشتراكية، وعاب عليها الاعتماد الكلي على الجانب المادي من دون اي اعتبار للجانب الروحي، وفي ذلك يكمن، على حد اعتقاده، فشل تلك التجربة بصورة مذهلة، وحول ذلك كتب معقبا على (القاموس الفلسفي) ترجمة مالك مسلماني: (المادية الصرفة هي كالاكليروسية الصرفة، اتجاه حسي مفرغ من القيم الانسانية، يحتقر العلاقات الروحية بين الناس، ويستهين بالاخلاقيات الصوفية مرادفا بينها وبين الدين، ولكن من غير الدعوة الى اللذائذية المنطلقة من تصور الانسان مجرد بهيمة يأكل ويشرب وينكح لا غير، كان غوركي ولوناتشارسكي وصحبهما يمتلكان بعدا روحيا كونيا، يتلاقى مع الموقف الصوفي الذي يدعو على لسان اقطاب التصوف الاجتماعي الاسلامي، الى اطعام الجياع من غير اقتران باللذائذية والحسية والبهيمية، ان رفض الشيوعية السوفياتية والصينية، تحديدا الثورة الثقافية، للبعد الروحي في الانسان افرغ الشيوعية من نبضها الانساني العميق (مجلة النهج، العدد ٤٥).

لهادي العلوي الكثير من الملاحظات المثيرة حول الظواهر الفكرية والفلسفية واللغوية، ففي الفلسفة اعترض على مصطلح (الفلسفة العربية الاسلامية) الذي قبل به حسين مروة عنوانا لكتابه (النزعات المادية)، باعتبارها تزاوجا بين الواقع العربي والفكر الاسلامي، يقول العلوي معترضا: (وانا افضل تسمية حضارة اسلامية وفلسفة اسلامية وفكر اسلامي وعلوم اسلامية، انها ادق في الدلالة على التركيب الحقيقي لهذا التراث، وعندما نتحدث عن تراث العقلانية العربية، فالحديث يجب ان يكون عن العقلانية الاسلامية، لان العصر الجاهلي لا يصنف في عصور الحضارات، وبذلك يرجع تاريخ العقلانية الى القرن الاول الهجري) (النهج، العدد ٤٣). ويعرف العلوي العقلانية بقوله: تنشأ مع الفكر الفلسفي، لانها تقترن بالتفكير العقلي المنظم، تأتي على الضد من التفكير الاسطوري السابق للتفلسف، ولا ادري الى اي مدى يتناقض هذا الطرح مع الدعوة للعودة الى الفكر القديم، العراقي منه او المصري او الصيني، الذي كانت الاسطورة شكله ومضمونه السائدين، ومع ذلك فللمفكر العلوي حجته في الطرح، فالعقلانية لا تعني اقل او اكثر من ذلك، والفكر الاسطوري بدوره كان يحمل قوانين اجتماعية معروفة، ومازال بعض منها ساري المفعول في دساتير الدول وشرائعها.

كان موقفه من الاستشراق مماثلا لمواقفه من الثقافة الغربية تماما، حتى اطلق على المستشرق تسمية (الحرامي الغربي)، والمستشرقون، في نظره، رسل الاستعمار الى الشرق، لكنه يستثني بعض الاسماء من الذين اعترفوا بقيمة الشرق الحضارية، كاعترافهم بوجود فلسفة صينية وهندية واسلامية، ومثاله في ذلك المستشرقة الفرنسية غواشون مؤلفة كتاب (التمييز بين الماهية والوجود عند ابن سينا)، ويؤكد العلوي ان غواشون ليست ماركسية، بمعنى انه برأ المستشرقين الماركسيين من خطايا الاستشراق.

حاول العلوي التقريب بين اللغة واللغة المكتوبة، اي بين اللهجات والفصحى. تبنى ذلك للمرة الاولى، على حد علمي، في مقاله (حول الحداثة في اللغة) (مجلة مواقف ١٩٨٠)، آنذاك دعا الى (اسقاط الاكليروس اللغوي من حسابنا، والتعامل مع اللغة من منظورنا الخاص، شرط الاحاطة بها: صرفا، ونحوا، ومفردات)، كانت مقالات العلوي المتحررة من الاكليروس اللغوي محرجة لناشري كتبه ومقالاته، حتى دفعهم ذلك الى التنويه، على سبيل المثال لا الحصر، ورد في هامش مقاله (الفكر العربي الاسلامي وضرورة التجديد المنهجي) (مواقف ١٩٩٠) للاستاذ العلوي وجهة نظر في النحو والصرف والاعراب، وتبعا لذلك في تهجئة الكلمات وكتابتها، واحتراما لوجهة النظر هذه، ننشرها دون ان يعني تبنينا بالضرورة.

لعل اهتمامات العلوي التراثية تبلورت بصدور كتابه (اضواء على معضلة الكنز، اقدم محاولة لتحريم التملك الخاص في الاسلام) بغداد ١٩٦٢، وفي تلك الفترة صدرت ايضا، ثلاثة بحوث مساهمة في احتفالات بغداد بألفية الفيلسوف الكندي، في عهد رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم.

لم يذكر للعلوي من الكتب الفلسفية غير كتاب (نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي) (بغداد ١٩٧١)، وكتيب (الرازي فيلسوفا) (عدن ١٩٥٨) الذي ضمه، فيما بعد، الى كتابه (شخصيات غير قلقة في الاسلام) وملا صدرا الشيرازي (ت ١٠٥٩) من القائلين بوحدة الوجود، وكان يسمى الاخوند (الاستاذ) ومن اهم كتبه التي اعتمدت بالتأليف (الاسفار الاربعة بالحكمة) يقول العلوي عن تلك النظرية (هذه النظرية بدعة خاصة للملا صدرا، فهي نتاج منهجه الفلسفي، وان كانت بعض تفاصيلها مستقاة من بعض قدماء الفلاسفة، مثل هيراقليص).. يبدو العلوي، في هذا الكتاب، معجبا جدا بشخص الشيرازي وفكره حتى انه عزا له مالغيره من سبق في مجال الحركة من المتكلمين والفلاسفة.

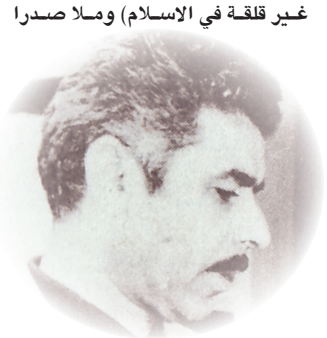

حاول العلوي التقريب بين اللغة واللغة المكتوبة، اي بين اللهجات والفصحى. تبنى ذلك للمرة الاولى، على حد علمي، في مقاله (حول الحداثة في اللغة) (مجلة مواقف ١٩٨٠)، آنذاك دعا الى (اسقاط الاكليروس اللغوي من حسابنا، والتعامل مع اللغة من منظورنا الخاص، شرط الاحاطة بها: صرفا، ونحوا، ومفردات)

ومن كتب العلوي ذات المادة التراثية، ومافيها من دلالة الماضي على الحاضر، كتابه (المستطرف الجديد) (دار الطليعة ١٩٨٠)، مقلدا البهشي في كتابه (المستطرف) وقد اضاف له فيما بعد، مادة غزيرة تحت عنوان (ذيل المستطرف الجديد) نشرتها مجلة (المدى) في الاعداد (١٤- ١٨) وعلى المنوال نفسه الف كتابه (المستطرف الصيني) دار المدى ١٩٩٤) وقبل ذلك اصدر (ديوان الهجاء العربي) (دار حوار ١٩٨٢) بعدها اصدر كتيبين (من تاريخ التعذيب في الاسلام)، و(تاريخ الاغتيال في الاسلام) (مركز الدراسات والبحوث الاشتراكية)، ثم كتاب (من قاموس التراث) الاهالي ١٩٨٨، وضمن هذا الكتاب مادة كبيرة من كتابه السابق (معضلة الكنز) مع الاضافة والتعديل، الف العلوي في علم التاريخ (محطات في التاريخ والتراث) دار الطليعة ١٩٩٧) وفصول من تاريخ الاسلام السياسي (مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية ، ١٩٩٥) وضمن الاخير كتيبه (فصول عن المرأة) (دار الكنوز الادبية ١٩٩٦) زيادة على ما نشره في مجلة (النهج) تحت عنوان (المرأة في الجاهلية والاسلام) العدد ٤١، في اللغة صدر له (المعجم العربي الجديد) (دار حوار ١٩٨٣) وكان هذا الكتاب بمثابة التمهيد لمعجمه الكبير: (قاموس الانسان والمجتمع و قاموس الدولة والاقتصاد، دار الكنوز الادبية ١٩٩٧، وكان المحتمل في المشروع الاخير ان يصدر في عشرة اجزاء، لكن انشغالات العلوي بالكتابة في موضوعات متنوعة اخرى، ووفاته المبكرة نسبيا حالت دون تحقيق ذلك، اما آخر كتبه، على حد علمي، فكان كتاب (المرئي واللامرئي في الادب والسياسة) (دار الكنوز الادبية ١٩٩٨) وهو كتاب جامع، يتضمن نقودا ومثيرات لاحصر لها، وترجم العلوي عن الصينية، (كتاب التاو) (دار الكنوز الادبية ١٩٩٥) من تأليف الفيلسوف الصيني (تشوانغ تسه) ومن كتبه التي لم نتمكن من تحديد ماهيتها كتاب (آراء واصداء) (بغداد ١٩٧٣) الذي اشارت اليه مجلة (ابداع) العراقية.

وفي خاتمة الجولة في مؤلفاته اود التذكير بأني لم اعثر على كتابيه (الدين والثورة) و(اللزوميات).

ما اريد قوله وانا اختم مقالي عن المفكر هادي العلوي انه حقق في البحث التراثي مالم يحققه غيره حين جمع بين سلاسة الاسلوب وعمق الفكرة بذلك حبب قراءة التراث لمستويات مختلفة من القراء، تمرد العلوي ولكن لم يخرج من داخله رجل الدين، المتواضع والصافي السريرة، وفي احاطته بتخصصه، الذي لم يأخذه من دراسة اكاديمية يصدق عليه القول: عنده ماعند الآخرين وليس عند الآخرين ما عنده.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

العلوي في ذكرى رحيل روحه المتصوفة

عقيل الناصري

رحل بالأمس القريب عنا ، الباحث المتجدد والتراثي الأصيل هادي العلوي، وهو في قمة علوه المعرفي وعطائه العلمي .. وبهذا الرحيل أفتقدت الثقافة العراقية الأصيلة عامة والتقدمية على وجه الخصوص، أحد اعمدتها المنيرة في جدليتها، والمثيرة في استفهاماتها وماهياتها في الوقت نفسه. لقد تزين العلوي بسمات العلماء المبدعين من تواضع جم ، بكل ما للمفردة من معنى، كما إمتلك شجاعة علمية نادرة في الأزمنة الرديئة التي عاشتها الثقافة العراقية منذ الرحيل القسري لثورة ١٤ تموز في انقلاب شباط الدموي، وبكل ما حملت من صعوبات ومضايقات بلغت حد التغيب المادي للمثقفين والعضويين بالأخص.

اتسم الراحل العلوي بمعرفته الموسوعية للتراث العربي/الاسلامي وبتشعباته المتعددة وتطبيعه اياها للقراءة المعاصرة والاستفادة منها في الظرف الحال. لقد تصدى متصوف الروح لهذا الإرث بمسؤولية علمية عالية وبوضوح منهجي واضح المعالم، مقترناً بالمنطقية وبتاريخية هذا التراث، مما سمح له بالإجتهاد العلمي ضمن نظرته الجدلية، والأكثر من ذلك حاول تطبيق ذلك في تفسيرات الواقع المعاصر لثقافتنا وما ينتابها من اشكاليات معرفية وسياسية ، والعمل على تغييره والتعبير عن ذاته بمضامين متجددة يتلائم ومتطلبات الوقت الراهن.

لقد كان العلوي يلح على ضرورة ان يتحلى المبدعون والباحثون بالجرأة العلمية ؛ والصراحة والوضوح في الطرح؛ والصرامة في التنقيب والبحث؛ والتأني في الاستنتاج ؛ وبالاستقلال الفكري عن الولاءات والحزبيات الضيقتين؛ والاجتهاد في التفسير بدون وجل أو خوف من أي سلطان كان .. حكومة .. حزب .. مؤسسة أو أي إنسان. كما كان يصر على أن نصغي بإحترام ونتمعن في النصوص وقراءتها قراءة حية جدلية لأجل معرفة مسارات صيرورتها ومآل الظواهر الاجتصادية الملازمة لها وزمنية سيرورتها وماهيات إرتقائها.. ليتاح لنا المساهمة في الكشف عن جوانبها المضيئة و نشرها والإشارة إلى تلك المظلمة منها، ومعرفة الغائبة الكامنة وراءها وعدم الاكتفاء بماذا يقال.. والأهم إنتزاع القدسية من اية ظاهرة اجتماعية تُدرس. لذا كان شعار شيخنا المستمد من أحد أساتذته العظام – ماركس الشك في كل شيء ، بغية الوصول إلى اليقين، وهو الطريق الموصل نحو المزيد من الموضوعية والتجديد.. لأنهما ينطلقان من أن الانسان في مجرى تاريخه الحياتي يخلق ثقافة، وسوف يكون حرا في أن يجعلها ثقافة عندما يتحرر من قيود العوز والحاجة المادية والروحية.. أي أنهما ينطلقان من الإيمان بالإنسان ، الذي هو غاية الأفكار الانسانية النبيلة وأن يتمكن من قهر الإغتراب عن نتاجه، عن عمله ، عن أخيه الإنسان،عن ذاته وعن الطبيعة... أن يعود إلى ذاته وأن يعانق العالم بقواه- أريك فورم ويصبح متوحداً معها حد الاندماج المتماهي.

علمنا العلوي.. كمبدع كبير ، أن نكثر من الاحتجاج ونعارض بقوة كل من يستهدف تدمير الذات الإنسانية وتدمير الحب والحياة، وأن نناضل ضد القهر والاستلاب ، الاستغلال والاغتراب أيا كان شكلهما، وضد الإستبداد حتى لو كان عادلاً (المستبد العادل) ،لأن ذلك يخالف العقل والمنطق.. فإذا كان مستبداً فكيف يكون عادلاً؟؟ . كما علمنا ودعانا إلى أن نحتج دوماً ونمارس هذا الفعل ضد الثقافات السطحية والضحلة، وتلك التي تعيد إنتاج الجهل بطرق جديدة. ونقف بقوة ضد انعزال الذات الفردية واعتكافها عن محيطها الاجتماعي الذي هو عالمها الحقيقي والمحفز للإبداع .. ونناضل بعزم وبكل الوسائل – بالكلمة أو المادة- لإستعجال بلوغ مملكة الحرية .. الخالية من العوز ، بكل أشكاله، والتحرر من أثقال الأنوية / الذاتوية وأن ○ نتبادل الحب بالحب والثقة بالثقة- ماركس□ وأن يكون سلوكنا الاجتماعي انسانياً وطبعاً طبيعياً وليس متطبعاً.

لقد ترك العلوي الكبير ثروة فكرية غنية بمضامينها وأشكالها.. رغم أن (قاتل اللذات) المعرفية لم يمهله لاستكمالها، إذ أنه منذ أن سلك الدرب (اللا ملكي)- درب البحث العلمي، كان التراث العربي / الاسلامي موضوعته الأراسية، حيث بدأ مشواره الأول معها منذ مطلع الستينيات .. عندما تأثر بالتغيير الكبير في ١٤ تموز الذي فجر فيه الكثير من مكامن الطموح الفكري ونظراته الفلسفيه للذات الفردية والجمعية ، ولواقع مستقبل وبرنامجية العراق الاجتصادي/ السياسي ونظرته إلى الفقراء بصورة خاصة.

في الوقت نفسه استفزه واقع الأحتراب الاجتماعي وصراع القوى السياسية فسار ليس في تفسير هذا الواقع بل عمل على تغييره بقلمه وفكره .. واستمر على هذا الدرب طيلة رحلة العمر إلى غيابه الأبدي. كان يستكمل أبعاد موضوعة التراث من خلال المقارنات والمقاربات العلمية وإستخدامها في وقتنا الراهن، كما كان يعمل بذات المنهج ، بين الفلسفتين العربية/ الإسلامية والصينية، وفي الاستدلالات من المدارات الصوفية ومن تباينات حركات الاحتجاج الواسعة لدى االجمهرة العلمية من فلاسفة ومناطقَة ؛ شعراء وثوريين، متصوفة وملحِدين.. الذين زخرت بهم الحركة الثقافية في البلاد العربية والاسلامية.. وبهذه السعة من المعارف التي ألفها فقد أضاف إلى المكتبة العربية المعاصرة ذلك الكم الوفير من الدراسات والابحاث اللغوية مما سمح لنفسه بالاجتهاد في نحت مفردات جديدة منها على سبيل المثال (الأرأسية؛ الاجتصادية؛ وغيرهما) كذلك في عدم استخدام المثنى واستبداله بالجمع ، وفي ادخال مفردات عامية ضمن اللغة الفصحى. كما ألف قاموسا عصريا للغة العربية كان ولا يزال موضع جدل في الاوساط اللغوية.

كان العلوي عراقيا بحق وقد انطلق من عراقيته نحو العالم الأرحب ورغم ذلك فلم يتخندق في منطلقه.. وقد نال هذا الموضوع اهتماما كبيرا منه ودرس حركة تاريخ هذا المكان(العراق) الذي يمكن ان نقول أنه كان بمثابة (آلهة الأماكن) بالنسبة له .. وخاصة ما يتعلق بحركة المقهورين وتطلعاتهم. إذ إنحاز (الكوفي البغدادي- كما

لقد كان العلوي يلح على ضرورة ان يتحلى المبدعون والباحثون بالجرأة العلمية ؛ والصراحة والوضوح في الطرح؛ والصرامة في التنقيب والبحث؛ والتأني في الاستنتاج ؛ وبالاستقلال الفكري عن الولاءات والحزبيات الضيقتين؛ والاجتهاد في التفسير بدون وجل أو خوف من أي سلطان كان .. حكومة .. حزب .. مؤسسة أو أي إنسان.

كان يذيل مقالاته) بصورة واعية إلى عالم الفقراء والمحتاجين والمحتجين، ولم يأتِ إليه مصادفة، بل أن بداية مسيرتِه فيه قد اقترنت بظروف الممارسة الواعية للحياة وما لازمها من حيث العوز والحاجة اللذان سكنا

كان الباحث الكوفي البغدادي- هادي العلوي يتحرك في ابحاثه في مساحة زمنية واسعة وحقول معرفة زاهرة ولغة ثرية ومواضيع تراثية سجالية الطابع.. فكانت له ابداعات واجتهادات وضعته في مصاف المريدين الشجعان من الذين أمسكوا دفة التاريخ بيد والمفاهيم العلمية بيد أخرى.. فاستوعبها في حراكها المستديم وبنظر سديد ودقة في المنهج وصرامة في شرف الغاية المرتجاة.. وضمن الاستقلالية العلمية البعيدة عن الموازنات التملقية.. فكان صاحب السهل الممتنع في الإسلوب والفكرة العميقة،

وإياه ردحاً من الزمن.. وقد حار في البدء في فهمهما وفسرهما بالرؤيا الميتافيزيقية وبالمنطق اللا علمي.. لكن أخذت هذه الرؤيا تنزل من عليائها إلى واقعها المادي الملموس ورأى أن قوانين الحياة تتواجد في ذات المجتمع الانساني وعلاقاته وليس في الماوراء. فالفقر والتباين الاجتماعي والسلطة كلها تكمن في الصراع بين القوى الاجتماعية في الأرض وليس السماء.

لقد توصل الراحل إلى هذه المعرفة بعد رحلة علمية شاقة غار في مناهج البحث وسلك الطريق الصعب – طريق البحث عن الحقيقة.. وأقرن ذلك بالممارسة السياسية الواعية والحية.. فكان إنتماؤه الأول إلى (حزب الجبهة الشعبية) في مطلع عقده الثالث.. ثم تركه بوعي وأنضم إلى الحركة السياسية الأكثر انسجاما مع ذاته وطموحه والمدافعة عن مادة التاريخ الانساني – الفقراء والمعدمين .. ويبدو أن هذا الانتماء الجديد ، حركة اليسار وبالتحديد جناحها الرديكالي المنظم- الحزب الشيوعي، كان يتلاءم ونفسيته المنتفضة وتطلعه لتغيير الواقع المادي للطبقات المسحوقة التي ينتمي إليها.

بدأ ، منذ هذا الانعطاف في الانتماء السياسي والفكري، يمارس النضال والاحتجاج ويكتب الرأي ويستبطن التاريخ ويقاتل بالكلمة والبحث .. حتى تبين له إن التغيير المطلوب للواقع ضمن الاحتجاجات السلمية لا يحقق ذاته العضوية.. فاعترف بأهمية الكلمة لكن مفعولها الآني قليل في ظروف بلداننا.. لذا حاول وطالب بأن يكون النضال بالسيف والقلم لان لكل منهما مهمته المترابطة مع ماهيته المنصبة على ضرورة عدم الاكتفاء بالتفسير للواقع بل يتحتم العمل على تغيير هذا الواقع.كان الراحل العلوي يستعجل التغيير آنذاك كأي شاب طموح ذو ثقافة عميقة وإحساس رهيف بماهية العالم وإنقسامه الطبقي ومحركه وقواه .. وكان الاصطدام مع الواقع التنظيمي الحزبي وكانت الكبوة وما رافقها من اعلام وظفها ثانية في البحث عن بدائل للبلوغ المبتغى.. بعد تلقيحها بالافكار الاشتراكية العلمية ، كمنهج ومضمون، وبالابعاد الأنسانية التي تزخر بها الفلسفات الشرقية.

في غمار مسيرته النضالية تكونت للعلوي مواقف سياسية أو/ فكرية، فلسفية أو/ لغوية تراثية، نظرية أو/ ممارسات عملية.. عديدة أثارت الكثير من الجدل والسجال، بل حتى الخصومة والعداء مع رفاقه ومناوئيه على السواء، بلغت درجة من العداء المستكلب حيث طالبوا حتى بتحريم كتبه وتجريمه من قبل بعض الأميين والعصبويين الذين يرون العالم من خلال خرم الأبرة والتي تعبر عن ضيق منطلقاتهم ومعتقداتهم الفكرية والفلسفية وكونهم يقيسون الإبداع عبر المدرسة المبتذلة وقوى القمع. حيث غذوا الناس بحلوى الامنية الأخروية حتى فسدت عقولهم ، في الوقت الذي كان العلوي يناولهم العقاقير المرة والحقائق اللاذعة لمعرفة واقع انسانيتهم.عُرف عن الراحل بعض من الاندفاعات والكبوات السياسية، إتفقنا مع هذه الفكرة أم لم نتفق،خاصة وبالمعنى الضيق، ما له علاقة بالممارسة السياسية الحزبية على وجه الخصوص، حيث اتخذ الكثير من المواقف وبشر ببعض الأفكار التي لا يعول عليها، كان مصادرها الظرف الموضوعي لعراق الفترة المظلمة (١٩٦٣-٢٠٠٣)، وبعد انحسار الكفاح المسلح الذي كان يدعو إليه ويتبناه، ثم للتراكم النفسي الذي نجم عنه.. بالاضافة إلى ما للجذور المعرفية الأولية الدينية ، كمُثل عول عليها في تغيير العالم في بواكير نضاله السياسي ، كذلك لمسارات التجارب الحياتية والسياسية التي سار معها ومن ثم تعثرها في تحقيق ما كان يصبو إليه.. كل هذه الظروف وغيرها راكمت لديه هذا المنحى لبعض المواقف والكبوات.. إذ كان استاذنا العلوي ذا نزعة صوفية تقوت لديه بحدة في سنوات عمره الأخيرة بصورة واضحة.. وهو الباحث في متاهات التراث وتعقده ، في اشكاليات مضامينه ودوافعه وفي تناقضه وتضاربه.

كان الباحث الكوفي البغدادي- هادي العلوي يتحرك في ابحاثه في مساحة زمنية واسعة وحقول معرفة زاهرة ولغة ثرية ومواضيع تراثية سجالية الطابع.. فكانت له ابداعات واجتهادات وضعته في مصاف المريدين الشجعان من الذين أمسكوا دفة التاريخ بيد والمفاهيم العلمية بيد أخرى.. فاستوعبها في حراكها المستديم وبنظر سديد ودقة في المنهج وصرامة في شرف الغاية المرتجاة.. وضمن الاستقلالية العلمية البعيدة عن الموازنات التملقية.. فكان صاحب السهل الممتنع في الإسلوب والفكرة العميقة، حيث كان دوما يسعى إلى استفزاز مشاعرنا ومكوناتنا الفكرية لاستنهاضها للخروج من منظومة المسلمات العقائدية لنغوص في مجرى الحياة وصراعها وصولا إلى حالة معرفية جديدة تخدم الباحث عن الحقيقة النابعة من الواقع الاجتماعي .... وهنا سأحيه مثلما حيا بيلينسكي الشاعر ليرمنتوف عندما قال :

يا للروح العميقة الجبارة! وما أصوب نظرته إلى الفن وما اعمق واصفى تذوقه التلقائي للجمال ... لقد جادلته واسعدني أن أرى في نظرته الحكيمة والفاترة والحانقة إلى الحياة والناس بذور الايمان العميق بجدارة هذا وذاك.

هكذا كان استاذنا الجليل .. وعلينا نحن تلامذته في المنهج ومريديه في الممارسة علينا بأفكاره وسيبقى أمثولة لنا ولغيرنا ونمارس النقد وننطلق منه على انفسنا كذات انسانية قبل أن نمارسه على غيرنا.. ومن هذا المنطلق ارى من الضروري أن تطرح الفئة العراقية المثقفة ومؤسساته الابداعية، على تعدد مشاربها الفكرية، فكرة تخليد أعمدة ثقافتها من خلال الاحتفال بيوم معين من السنة ويكون يوم المثقف العراقي يخلد فيه سنويا تلك الجمهرة التي ساهمت في بناء صرحنا الثقافي ونجمع تراثهم الفكري المتناثر وأمكانية استحداث جائزة ثقافية – حتى لو كانت معنوية- واتمنى ان تأخذ احدى المؤسسات كاتحاد الادباء، مؤسسة المدى، المجلس العراقي للسلم والتضامن وغيرها .. بهذه الفكرة العملية لتخليد مبدعينا ابطال زماننا المعاصر.

لقد سعى الراحل إلى مساندة كل الافكار الانسانية التي تعنى بشؤون المثقفين والمبدعين .. رحل واغنية الطير تردد:

سلام عليك .... ما أخضر نبع في الرافدين
سلام عليك .... ما أثمرت نخلة في العراقَيْن
سلام عليك .... ما جرى السلسبيل في الفراتين
سلام عليك .... ما سطع نجم في بغداد
سلام عليك .... ما تحرر سجين من الأصفاد
سلام عليك .... يا عاشق الحب والوداد

كما سنردد رثاء ما ذكره مثقفنا العضوي لاحد المناضلين .. و بدورنا سنرثيك بذات العبارات

سلاماً الزهرة الفارد...
تستأنس بالوحشة
لتحتفظ بالعطر واللون
سلاما على الحروف العاليات
يحملن الرجا
ولا يسترقن الصدى
سلاماً على الزكي نفسا
والزكي فكرا
والزكي وطناً

استوكهولم / السويد

عند قبر العارف

احلام عن الحزن والتيه في أسرار هادي العلوي

قاسم محمد عباس

أتذكر العارف هادي العلوي بعد غيابه ،اتذكره بما يعرفه عنه الأخر القارئ ، وأتذكره بما ترك من مدونات وكتب، وبين ما يعرفه هؤلاء وبين ما ترك من آثار ثمة هواجس مضيئة تدعو للتفكير في إعادة النظر في آداب الاستذكار لدينا ، وأعني أدبياتنا في التألم والاستحضار، هل يمكن ان تمنعنا هذه الأدبيات من اعتماد النقد الحق، الحق الذي شغل صاحب الذكرى عمرا وجهدا ومصنفات.وكم يمكن لهذا النقد أن يصمد أمام تذكر العلوي بأحداث مباغتة في حياته التي نجد أنفسنا نحن الذين عملنا في طريق أهل السلوك متلمسين تلك الاشارات المخفية بين سطور العلوي، كأن تلك الاشارات تواصل عرفاني تؤكد لنا في كل مرة نرثي فيها عاملا من أهل السلوك ان الغروب والمضي والانتهاء كيفما كان معنى غياب هادي بالنسبة لنا يعيننا نحن المأخوذين بخلق أهل السلوك كي نفهم أن حياة كحياة هذا العلوي يجوز أن تفهم على أنها حياة احتمالات يمكن تقصيها في فلسفة قديمة محسوبة بعناية على فلسفة التاريخ. ان ما كتب المؤبنون والمستذكرون عن حياة الراحل وردت كمجموعات لانهائية من الاجزاء المستقيمة المنسجمة مع الاحتمالات المألوفة.فحياة العلوي التي نذرت لقضية كبرى توقفت في لحظة ما من الزمن من زاوية نظر، ولكنها من زاوية أخرى لا يمكن لغياب الصورة أن يوقف تلك الحياة، بسبب ما يشدّنا نحن الذين نقرأ فيما بعد ما صنّف هذا العارف من مصنفات أهل الطريق أو على نحو أدق أعاد النظر فيها وكتب عنها وأعاد الانتقاء منها ، وهذا هو ما يربطنا بما بعد غيابه، فالأرواح القليلة المعدودة التي يظن أهل الطريق ان الدنيا تقوم عليها ، تنجينا كمجموع لاحق ينظر في آثار هؤلاء هنا في الحياة تنجينا من فكرة أن حياته كانت معروفة ومتداولة للكثيرين ، لكن كما قيل عن أسلافه فإن أحوال العلوي تبقى سراً على أهل العبارة، ما دام هادي احتار وتحير بالاشارة كثيرا ، فأن يختزل الرجل بصورة الزاهد الكاره لزينة الدنيا، أو يختزل بتلك العفة ، أو يختزل بالراكض وراء ثورات الفقراء فإن هذا من تأويل العوام، أما ما يمكن الاستعانة به فأن الكثير من أحواله ستبقى سرا حتى على أهل الطريق من العارفين بالاشارة قبل العبارة. وأنا اتذكر أجد حالي أميل قلبيا لفكرة ان قسما كبيرا من حياته بقي سرا، السر الذي يدعو على الدوام للاحتفاء، وستساعد فكرة السر هذه على تعزيز الامل بالمستقبل، فلم تظهر الكتابات اللاحقة لما بعد موت هادي أي اشارات عن تلامذة يمكن الركون إليهم في ملء الفراغات التي تركتها تلك الاسرار ، فلا مريدين ولا تلامذة لهادي سوى بعض المتألمين من المأسورين بشمائل وأفكار عجزوا عن الالتصاق بجوهرها، فما فهم على انه زهد للعلوي هو تفحص لأحلام رسولية، وما عرف على أنه حالة من التنوير هو حلم بمشية خيلاء لولي عرف أجزاء من السر، لم يكن لهادي أن يتشارك تلك الاسرار مع من كان حوله لأنه أدرك خطأ هذه الفكرة عبر من سبقه من أهل التحقق،وتلمس ان القضية مشاركة إلهية يتناوب عليها شهود معدودون آنيون رغب بشدة في أن يكون منهم .

قد يعاني قليلا النقاد النفسيون وهم ينظرون في حياة كهذه كي يعملوا بمصداقية علمية في دراسة نتاج وما خلف هادي .. لكن ان نلفت النظر لذكرى مثل ذكرى هادي بعد موته ، فسرعان ما تبدأ هواجس ما فوق شخصية تجتاحنا ونحن نفاجأ بتلك القيمة التي اختزلت بالحزن المرتبط بجدية سلوك وطرائق وحياة هادي ، فأحيانا نتوهم ان الحزن يعيننا على صواب موت من نحب بعد حياة متقشفة، او يساعدنا هذا الحزن على تقديس تلك المحن التي اختارها،لكن ما يجب ان يسعى اليه هو فهم دعوة هادي ، فكرته، صيغة مواقفه ، او حتى يمكن القول أهدافه، هل بإمكاننا اعادة النظر في ما كتب ومحاكمته من جديد بعيدا عما يضفيه الموت من تقديس على افكار الموتى ممن نعرفهم، او من العارفين، او من اهل الطريق،؟ ربما يمكننا ذلك لو اسقطنا بوضوح ما يضفيه الموت من التباسات على عدالتنا ونحن نقرأ ونراجع وننقد ونصوب ما ترك هادي من كتب ومواقف، بل اننا سنظهر اخلاصا واندفاعا حماسيا لتلمس ما لا نعرفه حقيقة عن هادي ، فنحن جميعا اما جمع كبير يوهمنا التباس الموت بأننا عرفنا وفهمنا دعوة هادي العلوي ، واما اقلية نسلك دربا مغايرا لمعرفة الارباكات والتحيرات الفكرية ، وحتى الغموض الذي فوت الفرصة على هادي لفهم الكثير من الجهد العقلاني الذي انتجه الفكر الاسلامي. وهكذا هي الحال على الدوام،ونحن نحاول الفهم ، فمرة هذا الفهم هو تأمل لبطولة وانغماس في تمجيد صاحبها ، او فعل نقدي لحركته اي التاريخ، حتى اننا احيانا ننسى صاحب الذكرى لصالح مجهول آخر . ان النظر في حياة هادي العلوي وهي حياة غنية وليست زاهدة كما يشاع ، لكنه غنى مغاير ، ان النظر في حياة متصاعدة في طريق اهل السلوك يجب ان يمنحنا عودة ناقدة لما كتب ، ولا يجب ان تفهم هذه العودة النقدية على انها نسيان لماقام به من تحفيز للضمائر، بل انه سبر ضمائر الكثير ممن حوله،ولا يزال يشوش رؤيتهم النقدية . لقد مر هادي بتعرجات لا يمكن فهمها الا لو نسينا ان حياته كانت مألوفة ومعروفة للجميع فهذا من قدرة هادي العلوي كعارف على تضليل العوام، فلم تكن حياته واقعيا متداولة او يعرفها الجميع انما هي حياة ملأى بتقوسات ودعاوى روحية اعد لها للوصول الى نقطة لا يعنى بها الكثير، بل لن تسمح مراجعة ما كتب بالوصول الى تلك النقطة لانها من شؤون اهل التحقيق ... والتحقيق هنا غير ما يقصد به العمل على المدونات القديمة، انما المقصود اطلالة روحية في زمن الوجودي، ان نستوعب مثل هذه الدقائق والرقائق التي سربها هادي بين طيات بعض كتبه هي الاصل، وليست كلمتي هذه لداعي الدخول في تمايز او مغايرة لتقديم صورة متوهمة عن فهمي لطريق اجتازه هذا العارف، بل ربما هذه الكلمة هي تيه اخر في تعرجات غامضة تلمستها في شخصية بدت لي اكثر من مرة كأنها تطل من ربوة على نهايتها، او تيه في نية حسنة تجلت في طرائق عيش عرضها هادي في بنى عقلية تمنعت ، وغلبة حال عرفاني كان يعيقها هادي بنزوع عقلاني حار به ،واحتار بها ، لكنها في النهاية وصلتنا كما هو الحال كموضوع متاح .حسب الفهم العام .للفهم والجدل والمراجعة.

عراقيون من زمن التوهج
العدد (1617)
السنة السابعة
الخميس (1)
تشرين الاول 2009

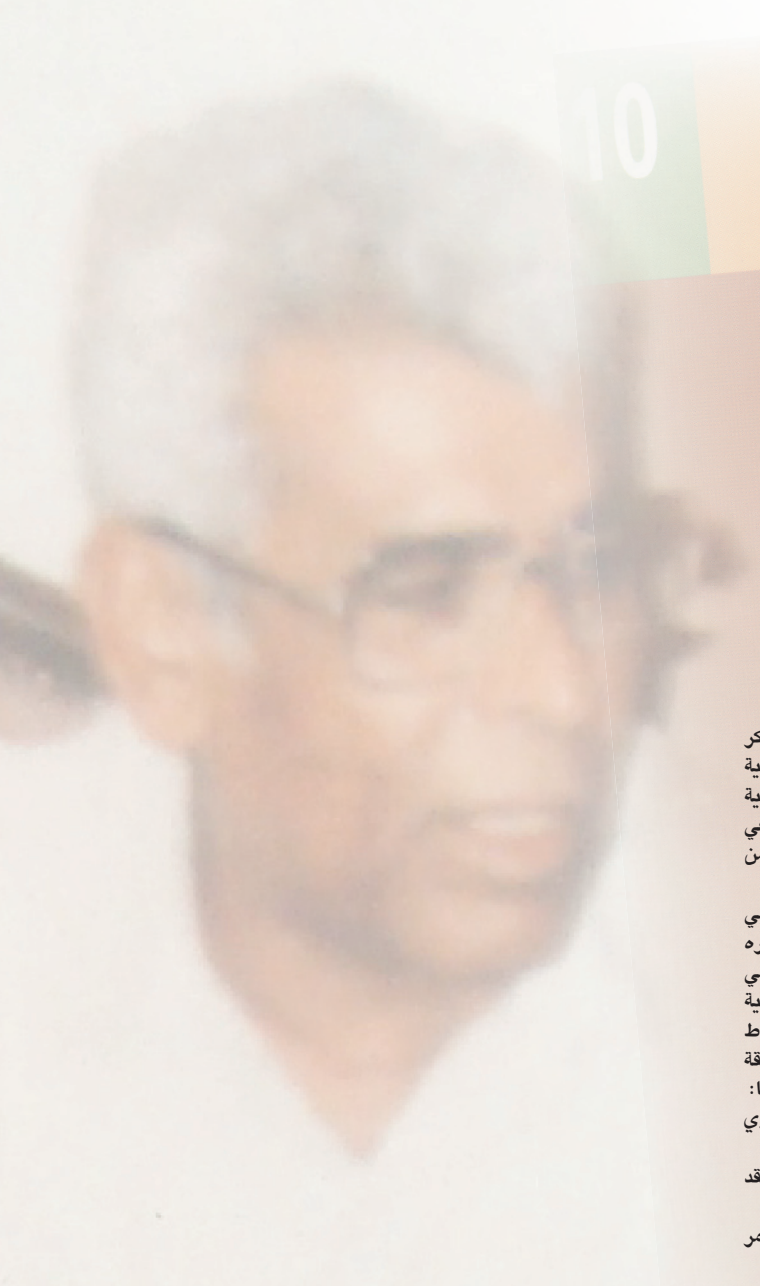

هادي العلوي
حلاج القرن العشرين

الماركسي المتصوف ، سليل الحضارتين ،اليساري الملتزم ،الولي ، المثقف المتمرد ،هذه التسميات وغيرها اطلقت على الباحث العراقي الشهير هادي العلوي الذي شكلت كتبه وآراؤه صدمة للمثقفين ولقرائه لما فيها من إشكالية في طرح قضايا تعتبر من المقدسات والمحرمات التي لايستطيع المثقف العربي طرحها او مجرد ذكرها . فقارىء كتابات هادي العلوي يصاب بالدهشة للوهلة الاولى عند قراءة كتبه. تمر علينا هذه الايام الذكرى العاشرة على وفاة هذا المفكر والباحث صاحب العقل الموسوعي..

قدم هادي العلوي البغدادي للمكتبة العراقية والعربية والعالمية ايضا اكثر من ٢٠ كتابا تناولت اكثرها التراث العربي والاسلامي وقضايا التصوف وقضايا المرأة ، والعديد من المقالات التي تميزت بتحليل ونكهة ماركسية ،فهو ضد تقديس اي شيء كما علمه استاذه الاول ماركس فلا شيء مقدس.. كل شيء قابل للنقد والتحليل الموضوعي ، وكان نقده واضحا وصريحا لاصحاب العقيدة الشيوعية من السياسيين والمثقفين الذين بشروا باقتصاد السوق وحاولوا بل مارسوا التشهير بالاقتصاد الماركسي ..حاول الراحل والحاضر دائما معنا البحث عن زعيم مقتدر يجمع بين الشرف الشخصي والشرف الوطني والطبقي لكي يعمل معه ، لكنه لم يعثر على تلك الشخصية الى ان وافاه الاجل..

ولد هادي العلوي في بغداد سنة ١٩٣٢ ونشأ في (كرادة مريم) وهي كانت ضاحية ريفية من ضواحي بغداد.

أنهى دراسته الثانوية سنة ١٩٥٠ وتخرج من كلية التجارة والاقتصاد بتفوق سنة ١٩٥٤،في أوائل الخمسينيات تعرف هادي العلوي على جريدة (الأهالي) التي كان يصدرها كامل الجادرجي فصارت جريدته المفضلة.في نفس الفترة الزمنية تعرف إلى (علي الشوك)،احد أبرز المثقفين العراقيين . توطدت معه علاقة متأخرة في الزمن لكنها أضافت الكثير إلى مخزونه المعرفي.

بدأ العلوي نشر بحوثه بعد أن استكمل أدوات المنهج الماركسي، وكان أول بحث قد نُشر في مجلة (المثقف) سنة ١٩٦٠ التي كان يصدرها العلامة الفاضل الباحث علي الشوك، وكان البحث عن أبي حيان التوحيدي وكتابه (مثالب الوزيرين).

حاول المزاوجة بين الماركسية والتراث وهو جوهر مشروعه فيذكر العلوي ان التجارب الشيوعية فشلت عندنا بسبب أحاديتها المرجعية ، أذ أعتمدت حصراً على المصادر المترجمة وأن المصادر الماركسية وحدها لاتكفي وقد أهمل شيوعيونا مصدر التأصل للفكر الشيوعي والنضال الشيوعي ، وحاول العلوي أقلمة الماركسية وكان جزءا من مراميه الاخيرة أن اقترب الى التصوف في اواخر حياته .

ترك العلوي ارثاً ونتاجاً معرفيا في مجالات التصوف والفكر العربي والاسلامي وقضايا المرأة اهتم وأنشأ مشروع المشاعية اخريات عمره بعد ان هجر ألايديولوجيات الحزبية ، وقد اعتبره المستشرق الفرنسي جاك بيرك احد أهم عشرة مفكرين في القرن العشرين.. كانت كراهية العلوي بكل اشكالها كرها مبدئيا وليس ايديولوجيا فهو ضد كل انماط السلطة ،كان هادي العلوي عنيف المزاج رقيق القلب متواضع كالحقيقة شموخا مثلها.. كتب العديد من المؤلفات تجاوزت العشرين كتابا منها:

نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي - أراء وأصداء/ الرازي فيلسوفاً - فصول من تاريخ الإسلام السياسي

من قاموس التراث/ المستطرف الجديد - المنتخب من اللزوميات نقد الدولة والدين والناس

شخصيات غير قلقة في الإسلام- المستطرف الصيني - الكتاب الاحمر - كتاب التاو - مدارات صوفية

ديوان الوجد - المرئي واللامرئي في الأدب والسياسة - ديوان الهجاء- قاموس الإنسان والمجتمع

قاموس الدولة والاقتصاد - قاموس العلوم والصناعات.

والعديد من المقالات والدراسات في المجلات العراقية والعربية..توفي في دمشق ودفن فيها.

في الذكرى الحادية عشرة لرحيل حلاج القرن العشرين ، ملحق عراقيون يحتفي بهذا المفكر الكبير الذي اغنى الثقافة الوطنية العربية

عراقيون

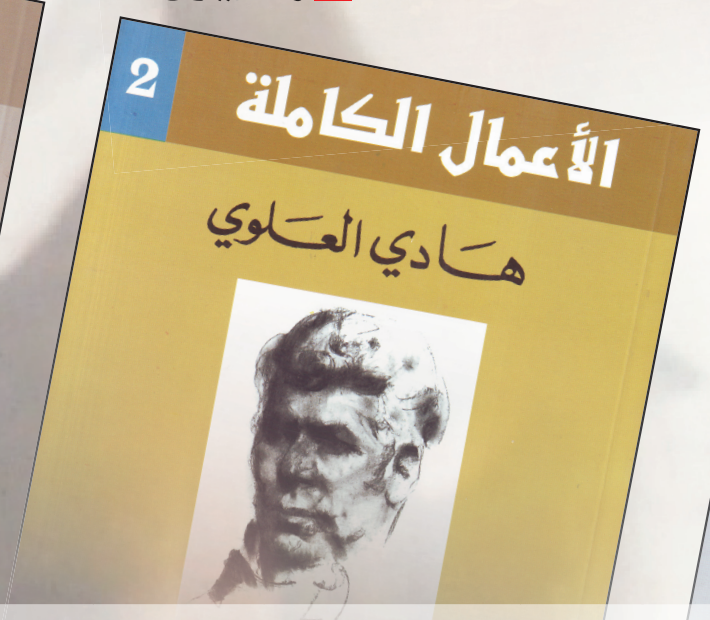

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم
الاشراف اللغوي : يونس الخطيب